جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الحركة الشعرية في بواكير الدولة البوسعيدية

من١١٥٤-١٢٨٥هـ
١٧٤١ـ١٨٦٨م

الدكتور
راشد بن حمد بن هاشل الحسيني
كلية العلوم التطبيقية بتروى

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

ملخص الدراسة

إن هذه الحقبة الزمنية؛ (عصر الدراسة) لم تدرس بعد فى مـــدى علمـــي، ففيها مجموعة سلاطين وأمراء قربوا إليهم الشعراء والعلماء فمدحهم الشـــعراء والعلماء وأغدقوا عليهم العطايا والهبات، وبها علماء إصلاح كان لهم دور بـــارز في مجتمعهم، فذكرهم الشعراء بما هم له أهل من الحمد والمدح ، ثم لما وافـــت المنية أولئك السلاطين ما كان من الشعراء إلا أن وافوا بذممهم فرثـــوهم بغـــرر قصائدهم وتنحبوا لأجلهم ، وتعددت تلك القصائد عند بعضهم .

هذا الأدب ما يزال في بطون الدواوين والكتب والمخطوطات محتاجا إلى من ينفض عنه غبار الزمن، ويخرجه للقراء ويبوبه ويصنفه ، فكانت هذه الدراســـة تأصيلية مسحية مقسمة الشعراء إلى فئات ومظهرة ما كان فيها من حركة نقدية متبعة المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract

The study investigates the poetic traditions of the early Albusaidi era. During this period, sultans, princes and rulers paid considerable attention to poets and literary scholars, rewarding them substantially for their work. Poets competed to compose work that would be handsomely rewarded, and upon the death of a sultan, wrote eulogistic poems as a sign of loyalty and affection. The poets came from different backgrounds which influenced the content and ideas expressed in their poetry. The researcher maintains that classifying the poets according to their ideas and roles will highlight the constituent features of the poetic movement and the proactive poets of that era. The methodology applied in this study includes the following details: the poet's name, his origins and where he lived, his death, the group of poets he belonged to, his collection of poetry, the people that he addressed in his poetry, samples of his work and any additional biographical information about his life. The poets of the period being studied devoted their attention to refining their work, exemplifying renowned classical Arab poets as well as their contemporaries a mater which established a kind of criticism that the current study tries to explore and document.

المقدمة

لقد جاءت هذه الدراسة للحركة الشعرية في بـــواكير الدولـــة البوســـعيدية إظهارا لأدب تلك الحقبة وتبيانا لشعر بعض الشعراء، الذين عاشوا بها فـــى ظـــل اهتمام الحكام البوسعيديين بالشعر وتقريب الشعراء إلى بلاطهـــم ومجالســـهم و تشجيعهم بالعطايا والهبات لأولئك الشعراء ،وتدبيج الشعراء قصائد لمدح أولئـــك الحكام في حياتهم ،ثم ما كان من وفاء أولئك الشعراء بالحكـــام والعلمـــاء بعـــد وفياتهم بكتابة مراثي لهم متعددة مثلما تعددت مدائحهم فيهم.

ونظرا لتعدد الشعراء واختلاف أفكارهم باختلاف قـــراءاتهم ومِهَـــنهم رأى الباحث أن يقسمهم إلى فئات؛ لأن تقسيمهم وتصـــنيفهم علـــى حســـب أفكـــارهم ومهنهم يسهل للباحث دراستهم فجاء تقسيمهم إلى أربع فئات:

الفئة الأولى: هم الشعراء الذين ينتمـــون إلـــى بـــلاط الحكـــام أو الأمـــراء فيختصونهم بمدحهم.

الفئة الثانية: الشعراء القضاة.

الفئة الثالثة: شعراء الوعظ والإصلاح .

الفئة الرابعة: شعراء لهم صيت وسمعة عند معاصريهم، وآخرون لم يحـــظ شعرهم باهتمام. وشعر هذه الفئة تشهد له فحول شعراء عصرهم، ولـــيس لهـــم دواوين شعرية .

وكان منهجي في دراستهم أن أذكر الشاعر ونسبه ومسكنه ووفاتـــه-مـــا أسعفتني المصادرفي ذلك- والفئة التي صنفته فيها وديوان شـــعره مطبوعـــا أو مخطوطا، وموضوعات شعره والشخصيات التي مدحها ورثاها ونماذج مـــــن بعض المراثي و المدائح . ونتفا من بعض مجريات حياتـــه ممـــا أســـعفتني بـــه المصادر.

ثم انتقلت إلى الحركة النقدية في ذلك العصر وهي لفتات وإرهاصات جديرة بالتوثيق وتعطي نبذة عن اهتمام مثقفي ذلك العصر و الشعراء بـــالوقوف علـــى المعاني الشعرية وإنعام النظر في الإنتاج الشعري لبعضهم البعض.

هذا وقد سبقني إلى دراسة هذه الحقبة الدكتور علي عبد الخالق علي ،في كتابه"الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية" وهي دراسة مستفيضة ظهرت في مطلع الثمانينيات درس فيها بعض الشعراء الذين تناولتهم هذه الدراسة وعرض كذلك للحركة النقدية في ذلك العصر، إلا أنه لم يتعرض لبعض الشعراء بالدراسة مثل النبهاني التنوفي، وإن ذكر بعضهم مثل الدرمكي ،ذلك لأن بعض المصادر التي ظهرت بعد دراسته لم تكن مطبوعة ومنشورة مثل الصحيفة القحطانية، التي اعتمدت عليها في إظهار النتاج الشعري لبعض الشعراء وكذلك بعض الدواوين لم تكن منشورة مثل ديوان الدرمكي وديوان النبهاني التنوفي، وديوان سعيد بن خلفان الخليلي . فجاءت هذه الدراسة مستدركة ما فات علي عبد الخالق ومضيفة لما لم يكن لديه في دراسته، فعسى أن تضيف شيئا في المكتبة العمانية والله من وراء القصد.

نظرة عامة على العصر وشعرائه

لقد ازدهرت الحركة الشعرية في عمان في هذه المرحلة ؛لأن" سوق الشعر كانت رائجة ،حتى لنظن أن جميع مثقفي العصر قد قرضوا الشعر أو تعاطوه " وأسهمت بعض العوامل بدور مهم في ازدهار الحركة الشعرية ؛ منها رواج المديح وازدهار الأسواق الشعرية في قصور السلاطين البوسعيديين ، والأمراء والحكام"[١] من غير البوسعيديين ، وإن إطلالة على الشعراء الذين مدحوا السلاطين البوسعيديين والأمراء والحكام من غير البوسعيديين لتبرهن على أن هذا العصر كان غنيا بالأدباء ، فكان لحكام الدولة البوسعيدية الأولى شعراء خاصون بهم في بلاطهم ،واستقطب الإمام أحمد بن سعيد شعراء[٢] كثيرين من داخل عمان وخارجها فأكرمهم وأحسن إليهم ورفع مكانتهم[٣]، وكان الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد متذوقا للشعر عارفا بمعانيه وبيانه، ومميزا بين الشعر الحسن والشعر البذيء [٤]،ولم يورد ابن رزيق شيئا من شعر هذا الإمام ، ويورد السالمي له قصيدة يبطنها بالشك في نسبتها إليه فيقول :" وكان أديبا لبيبا معدودا من أدباء عصره ، ومما ينسب إليه من الشعر قوله متغزلا (من الكامل) :

يا من هواه أعَزَّهُ وأذلّني ∴ كيف السبيلُ إلى وِصالِك دُلَّني
وتركْتني حيران صبّاً هائما ∴ أرعى النجوم وأنت في نومٍ هني
عاهدتني أن لا تميل عن الهوى ∴ وحلفتَ لي ياغصن أن لا تنثني
هب النسيم ومال غصن مثله ∴ أين الزمان وأين ما عاهدتني

(١) الكلباني . علي بن قاسم . شعر ابن شيخان المهاد والأبعاد . رسالة ماجستير . جامعة السلطان قابوس . ١٩٩٥م، ص٣٦.

(٢) الإمام أحمد بن سعيد ين أحمد البوسعيدي ، المؤسس الأول للأسرة البوسعيدية الحاكمة (١١٠٥هـ/١٦٩٣م – ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) . حجازي،محمود فهمي حجازي وجماعته، دليل أعلام عمان ؛القسم الثالث من موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، ،نشر جامعة السلطان قابوس ومكتبة لبنان،المطابع العالمية ،مسقط، سلطنة عمان (ط١) ١٩٩١م.ص٢٧

(٣) ابن رزيق .حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين . تح عبد المنعم عامر، د: محمد مرسي. نشر وزارة التراث القومي .سلطنة عمان . طبعة ١٩٨٤ . ص٣٦٦

(٤) ابن رزيق الفتح المبين.ص ٣٨٨

جـــاد الزمـــان وأنـــت مـــا واصـــلتَني ∴ يـــا بـــاخلا بالوصـــل أنـــت قتلـــتني
واصـــلتني حتـــى ملكـــتَ حُشاشـــتي ∴ ورجعـــتَ مِـــنْ بعـــدِ الوِصـــالِ هجـــرْتني
لَّـــا ملكْـــتَ قيـــادَ ســـرّي بـــالهوى ∴ وعلمْـــتَ أنـــي عاشـــق لـــك خنـــتني
ولأقعـــدَنَّ علـــى الطريـــق فأشـــتكي ∴ في زِيِّ مظلـــومٍ وأنـــتَ ظلمْـــتَني
ولأشـــكينَّكَ عنـــد ســـلطان الهـــوى ∴ لِيعـــذبنَّكَ مثلمـــا عـــذّبْتني
ولأدْعِـــيَنَّ عليـــك في جـــنح الـــدجى ∴ فعســـاك تُبْلـــى مثلمـــا أبليـــتني"[1]

ومع ما في هذه الأبيات من عذوبة ورقة إلا أنـــها لا تخلو من انتكـــاث، سماه أسامة بن منقذ "الانتكاث والتراجع" وقال: (هو أن ينقض الشاعر قوله بقول آخر أو ينقض مما زاد فيه)[2] وفيها حشو وأغلاط لغوية.فالانتكاث فـــي البيتـــين الخامس والسادس،وذلك عندما قال في البيت الخامس:(جاد الزمـــان وأنـــت مـــا واصلتني يا باخلا بالوصل أنت قتلتني) نكث ورجع فقال:(واصلتني .....ورجعت من بعد الوصال) ، كما نلحظ في عجز البيت الخامس (يا بـــاخلا بالوصـــل أنـــت قتلتني) نثرية اللغة وسذاجة القول.أما الحشو فيظهر في البيت الرابع بعد ما قال: (وحلفت لي يا غصن أن لا تنثني) فهذا خطاب مباشر فيه أسلوب حـــوار تحـــوّل بعده الكلام إلى حشو لا صلة له بما سبقه (هبّ النسيم ومال غصن مثلـــه، أيـــن الزمان) وفي مال غصن مثله تعقيد أخرجه عن الفصاحة ، أراد أن يقـــول (مـــال غصن مثل النسيم) فتعثّرَ لديه السبك اللفظي.وأما الأغلاط اللغوية ففـــي مطلـــع البيتين التاسع والعاشر (ولأشكينّك، ولأدعينّ) فالفعلان (دعا وشكا) أَلِفُهُنّ منقلبة عن واو وليست عن ياء .وكان الصواب أن يقول :(ولأشكونّك ، ولأدعونّ عليك)، ولكنه دخل في اللغة العامية فأخرجت العامية هذين البيتين من جيِّد القول ورِقّتـــه وعذوبته إلى الهجنة والإسفاف.

---

(١) السالمي :حميد بن عبد الله ،تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، طبع بمطبعة الإمام بمصـــر . من غير تاريخ، ج٢/ ١٤٠

(٢) مطلوب: أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، منشورات المجمع العلمي العراقـــي ١٩٨٣م،ج٣٢٥/١

ويثبت السالمي بيتين للإمام سعيد فيقول :" وكتب إلى أخيه سلطان بقولـــه: (من الطويل)

إذا شـحَّتِ الخضـراءُ بالوَبْـلِ فـالتمسْ ∴ تجـدْ جـودَ سـلطانٍ علـى النـاس كـالمطرْ
فـإنْ عـزَّ مطلـوبي فلـيس شماتـة ∴ وإن حصـل المطلـوبُ فـالفوزُ بـالظفرْ"[1]

وإني أرى في البيت الثاني شيئا من عدم الاتساق في تركيب المعاني فإنـه لما قال :" فإنْ عزَّ مطلوبي فليس شماتة" كان عليه بعد هـذا الإجمـال أن يـأتي بتفصيل لتتضح الصورة بضرب مثل يفصل فيه الإجمال السابق بصورة توضيحية، وكان يحسن بالعجز أن يكون صدراً ،والعجز "وإن حصل المطلوب فالفوز بالظفر" ليس فيه من المعنى ما يسمو بالبيت ، فجواب الشرط هو "الفوز بالظفر " لـيس فيه كريم معنى غير الترادف اللفظي فالفوز والظفر فيهما تقارب في المعنى إلـى حدٍّ كبير .

وقد رثى هذا الإمام ولده حمد بن سعيد بن الإمام أحمـد بأبيـات أوردهـا السالمي يقول فيها (من الكامل):

وافى حـمامك يـا حبيـبي بالعجـل ∴ نـار تلـهّب في ضـميري تشـتعلْ
يـا مـن لـه شـرف وفضـل في الـورى ∴ أمسـى وحيـدا مُفْـرداً دون الأهـلْ
الله أكـبر مـن مصـاب عمّنـا ∴ همًّـا وغمًّـا لا يبيـد ولا يفـلْ
حمـد حـوى المجـد الشـريف تغيّـرتْ ∴ أيامـه قـد كـان يضـرب بالمثـل
صـبْراً لأولاد الإمـام ومـن لهـم ∴ مـن إخـوة وأقـارب فيمـا نـزل
لاغـرْوَ هـذا قـد أتـى خـيرَ الـورى ∴ لم تمنـع الأمـوال عنـه ولا الـدُّوَلْ[2]

وهذه الأبيات فيها رصف لكلمات نثرية في أوزان شعرية بعيدة عن اللغـة الشـاعرة (وافى حمامك يا حبيبي بالعجل،أمسى وحيدا مفردا دون الأهل،قد كان يضرب بالمثل...إلخ).

---

(١) المصدر نفسه
(٢) نفسه ج٢/ ١٤٢، ١٤٣

وسالم بن سلطان بن الإمام أحمد[١] كان" محبًّا لأهل الورع والزهد محتفلا بأهل النثر والنظم ...وكان مجلسه لا يخلو من عالم فقيه ، وناثر وناظم نبيه، وكان يحفظ من أشعار العرب الجاهلية والإسلامية كثيرا ، مطّلعا على أخبار ملوك العرب والعجم ، خبيرا بسياساتهم " .[٢] وكان سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد "محبا لأهل الورع والزهد تواقا إلى الشعر محسنا لأهل النظم والنثر مكرما أهل العلم والفقراء والمساكين"[٣].

فلا غروَ أن يهبّ شعراء ذلكم العصر لرثاءشخصية من تلكم الشخصيات فينتحبون لأجلها مثل حمد بن سعيد بن الإمام أحمد، الذي كانت له مكانة خاصة بين العلماء والشعراء وأفراد المجتمع بعامة ، فعندما توفي رثاه شعراء عصره بمرثيات كثيرة. رثاه أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرمكي بمرثيتين إحداهما رائية مطلعها (من البسيط):

لّما قضى حمَدٌ لم يبْكهِ البشَرُ ∴ حتى بكاه الحصى والنخْلُ والشجَرُ

والثانية ميمية بدأها بقوله (من الكامل):

جبَلُ الجبالِ الراسياتِ تهدّما ∴ فاسْكبْ عليه من مدامعك الدِّما

ورثاه سليمان بن أحمد المفضلي بقصيدة مطلعها (من الكامل):

سَطَتِ الهُمومُ وصالتِ الأتراحُ ∴ ونآى السرور وشطّتِ الأفراحُ

فالأرضُ حالكةُ الأديمِ فما بها ∴ شمسٌ ولا قمرٌ ولا مصباحُ

ورثاه عبدالرحمن بن محمد بن بلعرب البطاشي بقصيدة مطلعها (من الطويل):

أرى أُمَّ ذفْرٍ تمزج القند بالصبرِ ∴ فكم درْدبيسٍ جلَّ قلَّ له صبري[٤]

---

(١) سالم بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي : (١٢٣٦هـ/١٨٢١م) كان واليا ،ولاه أبوه البحرين فتجمع عليه أهلها وأعيد إلى مسقط . دليل أعلام عمان ص٧٦

(٢) ابن رزيق . الفتح المبين ص٤٤٣،٤٤٤

(٣) ابن رزيق . الصحيفة القحطانية . تحقيق د.محمود السليمي وصاحبيه نشر وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان ، ط(١) ٢٠٠٩م ج٥/ ٣٥٥

(٤) ابن رزيق . الفتح المبين ص٤١٤ ، وينظر الصحيفة القحطانية.ج٥ / ٣٣٣، ٣٣٤

وقد امتدح الشاعر هلال بن سعيد بن ثاني بن صالح بن عرابة[١] ، السلطان سعيد بن سلطان[٢] ، ولقبه قمر المعالي ، ثم مدح من بعده ابنيه ، محمد بن سعيد وهلال بن سعيد واسم ديوانه في مدحهم (جواهر السلوك في مدائح الملوك) .

ومن شعراء البلاط البوسعيدي المؤرخ والشاعر حميد بن محمد بن رزيق، المولود عام (١١٩٨ه/١٧٨٣م) في مسقط على حسب استنتاج الباحث الدكتور عبدالله أمبوسعيدي[٣] ، ولقبه معاصروه بأبي تمام زمانه نظرا لجودة شعره بينهم ، فقد مدح سالم بن سلطان [٤] وولده محمد بن سالم ،وله ديوان في مدحهما سمّاه (فصوص المرجان)، وله أربع مراث في سعيد بن سلطان ، وثماني مراثي فٍ سالم بن سلطان ، ولحميد في مدح ثويني بن سعيد ديوانان ؛ أحدهما (سلك الفريد) في مدح السيد الحميد ثويني بن سعيد ، والثاني (جوهرة التيجان) وقد امتدح هذا الشاعر ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي بعدة قصائد في الجزء السادس من سبائك اللجين، أورد مطالعها وعدد أبياتها في الصحيفة القحطانية[٥] .

---

(١) هلال بن سعيد بن صالح بن عرابة . قاض وشاعر . عاش في القرن الثالث عشر الهجري . من بلدة العليا بوادي الطائيين ، سافر إلى زنجبار وكان أحد قضاتها. (دليل الأعلام ص١٦٥).

(٢) سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٠٦هـ / ١٧٩١م _ ١٢٧٥هـ / ١٨٥٦م) من أشهر سلاطين عمان وزنجبار في القرن التاسع عشر، ولد بسمائل وانتقل إلى زنجبار سنة ١٨١٢م، وعندما تولى حكم عمان وطد علاقته مع الغرب ، وأرسل أول سفير عربي عماني إلى أمريكا . (دليل الأعلام عمان ص٨٠)

(٣) أمبو سعيدي، عبدالله بن سعود،ابن رزيق ودوره في كتابة التاريخ العماني(دراسة في مصادره ومنهجه) رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية،أيار ٢٠٠٣م ،ص٤٧ .

(٤) سالم بن سلطان بن أحمد البوسعيدي (١٢٣٦هـ ١٨٢١م) والٍ ، ولاه أبوه البحرين ، فتجمع عليه أهلها ، وأعيد إلى مسقط ، ولما مات أبوه تولى بدر بن سيف الوصاية عليه هو وأخوه سعيد فولاه بدر على بلدة المصنعة ليباعد بينه وبين أخيه . (دليل أعلام عمان ، ص٧٦)

(٥) ينظر ابن رزيق ، حميد بن محمد ،الصحيفة القحطانية،تحقيق د.محمودالسليمي وصاحبيه،نشر وزارة التراث والثقافة ــ سلطنة عمان، ط ١ ، ٢٠٠٩م ج٤/٢٤٢-٢٥١

ومن الأمراء والشيوخ الذين قربوا الشعراء إليهم ، فأغدقوا عليهم الهبات والعطايا ، أمير الحمراء محسن بن زهران بن محمد العبري[١] ، الذي مدحه عدد من الشعراء ممن وقفت على شعرهم ودواوينهم في مدحه.

جاء في التبصرة " أحبه أدباء الرجال وكثر مادحوه ووفد إليه راجوه ، وكان رجال الفضل والأدب وأعيان الناس يفدون إليه زرافات ووحدانا ، وممن امتدحه من الشعراء المشهورين في عصره الشاعر البليغ أبو تمام زمانه حميد بن محمد بن رزيق من سكان مسقط "، فقد مدحه بقصائد كثيرة جمعها ديوان كبير مستقل ، وفيه ثمان وعشرون قصيدة كل واحدة منها ثمانية وعشرون بيتاً من حرف الألف إلى حرف الياء المثناة من تحت، التزم في كل قصيدة أن يكون أول حرف في البيت حرف روّي القصيدة ، كما صنع الصفيّ الحِلِّيّ في قلائد النحور[٢]،وهذا هو ديوان جوهرة الأشعار وفريد الأفكار ، وسمى القصيدة الأولى ، الأبجدية، جعل كل بيت فيها يبدأ بأول حروف أبجد هوز ، وهي من البحر الطويل وقافيتها الراء المضمومة فقال من مطلعها (من الطويل):

أتنسى عهود الربع أم أنت ذاكرُ ∴ أبا الله أنسى ما تذيع المحاجرُ
بسيط غرامي ليس فيه مركبا ∴ به أنا أحلاف الصبابة باهرُ

(١) هو محسن بن زهران بن محمد بن ابراهيم العبري ولد سنة ١٢٢٠هـ ، كان شجاعا مهابا وجوادا وهابا استتب له الأمر في قومه سنة ١٢٤٢هـ، خطب وده الحكام والأمراء في عمان، وفدت إليه الشعراء من بلدان شتى وقبائل متفرقة و وازره الأدباء فكانت بلاده الحمراء في أيامه كعبة القصاد ، ومنهل الوراد كان معاصرا في صدر إمارته للسلطان سعيد بن سلطان بن أحمد ، واتصل بالسلطان مرارا وأغدق السلطان عليه من العطايا والنوال شيئا كثيرا ، واستعان به في بعض حروبه، وبعد وفاة السلطان سعيد صارت له مع السيد السلطان ثويني ابن سعيد محبة أكبر مما كانت مع والده . مات ببلدة الحمراء يوم الثاني عشر من صفر عام ١٢٩٠هـ وترك من الأولاد اثنين هما ؛ حمد بن محسن وسعيد بن محسن ، وسعيد هو والد الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري مفتي عام السلطنة السابق . ينظر تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين . تأليف ابراهيم بن سعيد العبري . مخطوط .مصفوف على الحاسب الآلي . مكتبة وقف الحمراء . (ص٣٥ _٥٥)

(٢) ما يزال هذا الديوان مخطوطا وصورة منه لدى الباحث.

جنـــاني جنـــان نـــاظرات لغـــادة ∴ جفاها لأعراض المحـــب جـــواهرُ[١]

وعدد أبياتها تسعة وعشرون بيتا ، وقد شرحها بيتا بيتا شـــرحا مفصـــلا ، فمما قاله في شرح البيت الثاني " البسيط ضد المركب، ويقال لـــلأرض بســـيطة وللنفس كذلك ، والغرام إفراط الحب ،وهاء (فيه) راجعٌ ضميرها للربع ، ولـــيس حرف نفي ، وهاء (به) راجع ضميرها للغرام ، وقولـــه (أنا) يعني الناظم نفسه ، والأحلاف واحدهم حلف، يقال فلان حلف لفلان ، ولبني فلان إذا حالفه وحالفهم، وحالف فلان الهوى إذا صار حلفا له ، والصبابة إفراط العشق . والـــباهر الـــذي يبهر القلوب والعقول بشأنه . أي أنا باهر بأحلاف الصبابة بغرامـــي المفـــرط [٢]. وانتهت القصيدة بحرف الغين في أول البيت الأخير حيث قال :

غـــلا ســـيفه بالقتـــل فهـــو وإن رأى ∴ غلـــوّاً لحـــد الســـيف للـــذنب غـــافرُ

ثم زاد بيتا أخيرا ، زاد فيه عن حروف أبجد فقال :

مديـــدٌ بســـيطٌ جـــوده لا مُرَكّـــبٌ ∴ ومـــدحي إليـــه كامـــلٌ وهـــو وافـــرُ[٣]

ومن أولئك الشعراء الشاعر محمد بن جمعة بن مسعود العبيداني[٤] فقد نظم في مدح محسن بن زهران ديوان شعر سماه تحفة الزمان في مدح الشـــيخ محسن بن زهران.

(١) مجموعة أشعار يضم بين دفتيه ديوان جوهرة الأشعار وفريد الأفكار لحميد بن محمـــد بـــن رزيق ، وديوان تحفة الزمان لمحمد بن جمعة بن مسعود العبيداني ، وديوان نـــور الأعيـــان وضوء الأذهان لحميد بن محمد بن رزيق ، وكل هذه الدواوين في مدح محسن بن زهران . مخطوط .مكتبة خاصة . وصورة منه لدى الباحث .ص٢٦.

(٢) مجموعة أشعار يضم بين دفتيه ديوان جوهرة الأشعار وفريد الأفكار لحميد بن محمـــد بـــن رزيق ، وديوان تحفة الزمان لمحمد بن جمعة بن مسعود العبيداني ، وديوان نـــور الأعيـــان وضوء الأذهان لحميد بن محمد بن رزيق ، وكل هذه الدواوين في مدح محسن بن زهران . مخطوط مكتبة خاصة . وصورة منه لدى الباحث ص١٦

(٣) المصدر السابق ص٢٧

(٤) لم أجد له تعريفا في ما توفر لدي من مراجع . وهو معاصر لمحسن بن زهران ومعاصـــر للشاعر المؤرخ حميد بن محمد بن رزيق وأحد أصدقائه. صورة من مخطوطة ديوانه لـــدى الباحث.

ومنهم الشاعر علي بن ناصر بن محمد النبهاني التنوفي [١] فقد مدح الشيخ محسن وأخاه محمد بن زهران ، وولده حمود .

ومن أولئك الأمراء الأمير السمائلي محمد بن ناصر بن محمد الجبري الذي مدحه الشاعر علي بن ثابت الساساني ، فقد نظم في مدحه ديوانا خاصا به . وما يزال ديوانه مخطوطا .

من هذه النظرة العامة على العصر وشعرائه يتضح لنا أن في ذلك العصر مجموعة شعراء قرضوا الشعر في المديح وفي الرثاء ؛ منهم من اتصل بالحكام والسلاطين وكانت لديهم حظوة عندهم فكتبوا فيهم دواوين بَلْهَ القصائد ، ومنهم من اتصل بأمراء القبائل ،وكانت لهم فيهم قصائد كثيرة أبقت ذكرهم خالداً وقد أفناهم الدهر.

ونظراً لتعدد مشارب هؤلاء الشعراء وانتماءاتهم وأفكارهم ؛ رأى الباحث أن يقسمهم إلى فئات لتسهيل دراستهم ،وإن كانوا جميعا ينضوون تحت لواء واحد هو المديح عدا الشعراء العلماء الذين ابتعدوا بشعرهم عن المدح ، وهم في مستوى واحد من ركونهم إلى الزخرفة والصنعة البديعية .

(١) فلكي وشاعر وهو معاصر لهؤلاء الأعلام المذكورين سابقا ، له ديوان مطبوع .

تقسيم الشعراء إلى فئات

شعراء العصر: يمكن أن تقسم هذه الدراسة شعراء هذه الفترة إلى فئات :ــ

الفئة الأولى: شعراء ينتمون إلى بلاط الحكام أو الأمراء فيختصون بمدحهم وهم : حميد بن محمد بن رزيق،وهلال بن سعيد بن عرابة، وعلي بن ناصر بن محمد النبهاني التنوفي ،وعلي بن ثابت الساساني .

الفئة الثانية: شعراء بلغوا مناصب القضاء في الدولة وهما :سالم بن محمد بن سالم الدرمكي وعامر بن علي العبادي .

الفئة الثالثة : شعراء الوعظ والإصلاح وهم الشعراء العلماء وهما : جاعد بن خميس الخروصي وسعيد بن خلفان الخليلي، ويمكن أن ندخل معهما سعيد بن محمد الغشري .

الفئة الرابعة: شعراء كان لبعضهم صيت وسمعة عند معاصريهم من الشعراء، وغيرهم ؛ لجودة شعرهم ومدحهم لبعض الشخصيات المهمة في عصرهم ومنهم شعراء لم يحظ شعرهم باهتمام من قبل معاصريهم والانتشار بينهم مع أن شعرهم كانت تشهد له فحول شعراء عصرهم ، لكنه لم يُكتب لشعرهم الانتشار .

وهم راشد بن سعيد بن بُلَحْسَن الرواحي الأعمى السيماوي،وسيف بن ناصر بن سليمان المعولي وناصر بن محمد بن سليمان الخروصي وناصر بن سليمان بن ثاني بن عرابة .

الفئة الأولى : من شعراء هذه الفترة حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت من أولاد سعيد بن غسان النخلي ــ نسبة إلى نخل ــ المولود عام (١١٩٨هـ /١٧٨٣م) في مسقط على حسب استنتاج الباحث الدكتور عبدالله أمبوسعيدي[١] ، عالم في الأنساب والتاريخ ، له عدة مؤلفات مابين المخطوط والمطبوع ، شاعر وأديب فصيح له عدد من الدواوين الشعرية منها "سبائك اللجين" طرق فيه

(١) أمبو سعيدي، عبدالله بن سعود،ابن رزيق ودوره في كتابة التاريخ العماني (دراسة في مصادره ومنهجه) رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية،أيار ٢٠٠٣م ،ص٤٧ .

موضوعات متعددة مثل الرثاء والمدح والهجاء والوعظ والمديح النبوي والغزل.وهذا الديوان لايزال مخطوطا في المكتبة البريطانية . وله "سلك الفريد " في مدح السيد الحميد ثويني بن سعيد، وطبع هذا الديوان عام ١٩٩٧ ، طبعته وزارة التراث القومي في سلطنة عمان . وله "فصوص المرجان " وهذا الديوان في مدح سالم ابن سلطان وولده محمد بن سالم ، ولا يزال هذا الديوان مخطوطا بدار المخطوطات في وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ، رقمه العام:١٣٥١ ورقمه الخاص ٢١ز . وله ديوان مطبوع عبارة عن قصائد مختارة من "سبائك اللجين" و"فصوص المرجان" سمي ديوان ابن رزيق وهو في مدح سالم بن سلطان وولده محمد بن سالم ، وله كتاب "سلوة الأنام " في مدح الإمام أحمد بن سعيد لايزال مخطوطا ، صورة منه في مكتبة محمد بن أحمد آل سعيد ، جمع في هذا الكتاب القصائد التي قالها الشعراء في مدح الإمام أحمد بن سعيد ، وله جواهر الأشعار وفريدة الأفكار ، وله ديوان في مدح محسن بن زهران العبري و أبي محمد ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي ، وله كتاب سماه "علم الكرامات إلى نسق المقامات " أودع فيه ستين مقامة[١]، وله القصيدة العدنانية وهي ردٌّ على القصيدة الحلوانية في مدح القحطانيين لمحمد بن سعيد القلهاتي ؛ فابن رزيق معارض للشيخ القلهاتي ورادٌّ عليه[٢] . هذه هي مؤلفاته الأدبية ؛ أما مؤلفاته التاريخية فيطول بها المقام إذا ما ذكرناها[٣].

إن ابن رزيق هو شاعر بلاط الحكام البوسعيديين توّجهم بدرر قريضه ، وغرر أشعاره وقصيده ، فأغدقوا عليه إحسانهم ، وأغرقوه في بحور نعمائهم ،

---

(١) د. الهاشمي، سعيد بن محمد،قراءة في الصحيفة العدنانية لابن رزيق، ضمن قراءات في فكر ابن رزيق مناشط المنتدى الأدبي ٢٠٠٧، ص١١٧.

(٢) ينظر الخصيبي ، محمد بن راشد ، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، نشروزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان، ط(٤) ٢٠٠٦م، ٣٠،٣١/١، ١٣٣/١-١٣٦

(٣) ينظر أمبو سعيدي،عبدالله بن سعود ،ابن رزيق ،حميد بن محمد ودوره في كتابة التاريخ العماني،دراسة في مصادره ومنهجه،رسالة دكتوراه،الجامعة الأردنية،أيار ٢٠٠٣م ،ص٨١-٩٢

حتى قال ابن رزيق عن سالم بن سلطان " وأما مدحي له أيام حياته نظما ونثرا فلا أحصيه ، كما لا أحصي إحسانه ، وكفاني لولا مودته وإحسانه لما تصديت لنظم القريض ، فهو قد صقل جناني بجود بنانه ، وشحذ لساني بشعشعائية إحسانه "[١].

وكان هذا الشاعر وفيًّا لأولئك السلاطين أحياء وأمواتا ، فلم يكن ليمدحهم أثناء حياتهم بغية العطاء فقط ،وإنما بعد مماتهم رثاهم بغرر قصائده ، فالواحد كان يرثيه بالقصيدتين والأربع والست . وعندما كان مبتدئا بنظم الشعر رثى سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بقصيدة مطلعها (من الخفيف):

ذِكْرُ بعضِ الأنامِ يشجو الجَنانا ∴ ويهلُّ الدموع منا جُمانا
كلّما نصّتِ الرواة حديثا ∴ عنهم أورث الحشى هيمانا[٢]

ورثى سعيد بن سلطان بأربع قصائد . الأولى رائية ومطلعها (من الكامل):

لكسوف شمس زاغت الأبصارُ ∴ فنهارنا لا بالضياء نهارُ[٣]

الثانية بائية وأولها (من الطويل) :

دُموعٌ لكسْفِ الشمسِ شُهْبٌ كواكبُ ∴ فمَشْرِقُ أرضِ اللهِ مِنْهُ مغاربُ[٤]

الثالثة ميمية ومطلعها(من الكامل) :

لِكُسوفِ شمسِ الأرضِ أمْ شمْسِ السّما ∴ ما ضاءَ في الآفاقِ أضحى مُظْلما[٥]

فهذه المراثي الثلاث نلاحظ أن الشاعر يكرر فيها معاني مطالعه، فكل صدر تكرر معناه في مطلع كل قصيدة ، كما تكرر معنى كل عجز في مطلع كل قصيدة ، وهذا بخلاف مدائحه فيه فهي أجود من المراثي .

(١) ابن رزيق ، الفتح المبين . ص٤٥٥
(٢) ابن رزيق الصحيفة القحطانية . ج٥/ ٣٥٦
(٣) ابن رزيق – الفتح المبين. ص٥٥٣
(٤) ابن رزيق الفتح المبين ص ٥٥٦
(٥) نفسه ص ٥٥٨

الرابعة لامية وأولها(من الكامل) :

أَلِوقْـــعِ خطْـــبٍ للأنـــام عويـــلُ ∴ اللهُ أكـــــبرُ فالمُصـــــابُ جليـــــلُ[1]

ورثى سالم بن سلطان بثماني قصائد[2] ، الأولى همزية وأولها (من الطويل):

عَـــزَاءٌ وللحُـــرِّ الحلـــيمِ عَـــزَاءُ ∴ إذا مـــا أتَتْـــهُ رجَّـــةٌ وبَـــلاءُ

الثانية بائية ومطلعها (من الوافر):

ألا اسْـــقوا الـــدمعَ ريقَكُـــمُ الجَـــدِيبا ∴ وشُـــقُّوا شَـــقَّ جيـــبِكُمُ القُلوبـــا

الثالثة رائية وأولها(من الطويل) :

مُصـــابٌ يكـــادُ الـــيمُّ منـــه يغـــورُ ∴ أســـى وتكـــادُ الأرضُ مِنْـــه تمـــورُ

الرابعة لامية ومطلعها (من الكامل) :

خِـــدَعُ المُنـــى وَوَســـاوِسُ الآمـــالِ ∴ لازِلْـــنَ ضـــاحكةً علـــى الآجـــالِ

الخامسة ميمية وبدأها بقوله(من الخفيف) :

غـــاضَ بحـــرُ النـــوالِ فاسْـــقوا الرُّســـوما ∴ أدمُعـــاً تُفْضـــحُ الهمـــولُ الغيومـــا

السادسة ميمية أيضا وبدأها بقوله(من البسيط) :

لِمِثـــل ذا الـــرزءِ فالْتبْـــكِ العيـــونُ دَمـــا ∴ اليـــومُ زُعْـــزِعَ ركـــن المجـــدِ وانهـــدما

وأما السابعة والثامنة فبنونيتين الأولى بدأها بقوله(من البسيط) :

عضـــوا البنـــان فظعـــن الحـــظِّ قـــد بانـــا ∴ وقرِّحـــــوا لِقَنـــــا اللـــــذات أجفانـــــا

ومطلع الأخرى قوله (من الكامل):

اليـــوم غـــاض قلمِّـــسُ الإحســـانِ ∴ وانـــدكَّ طـــود الأمـــنِ والإيمـــانِ[3]

وهذا الشاعر له مكانة ومعزّة كبيرة وعلاقات وطيدة بعلماء عصره وشعرائهم ، فهو كما يتألم لفقد الحكام والسلاطين يتألم كذلك لفقد العلماء والشعراء ، فعندما توفي ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي بكاه بستِّ قصائد ؛ الأولى داليّة ومطلعها (من الكامل):

---

(١) نفسه ص ٥٦٠

(٢) ابن رزيق الصحيفة القحطانية ج٥/ ٣٥٩-٣٦٥

(٣) ابن رزيق الفتح المبين ص ٤٥٤، وانظر الصحيفة القحطانية ج٥/ ٣٦٤- ٣٦٥

بكـــتِ الصـــحائفُ فالمُصـــابُ شـــديدُ ∴ يكفيـــك رزءا مـــا عليـــك مزيـــدُ

وبرائية أولها (من الطويل):

ألا جـفَّ بحـرُ العلـم يـا مـدمعي القطـرُ ∴ أصَـبْرٌ علـى صـابٍ وقـد عُـدِمَ الصـبرُ

وبسينية بدأها بقوله(من الطويل):

خـلا مجلـسُ الفقـهِ الأنـيسُ مـن الأنـسِ ∴ فمَـنْ ذا إلى التـدريس في ذروة الـدرسِ

وبلامية مطلعها (من الكامل):

رَزءٌ تفـاقمَ فالبريّـة تُعْـولُ ∴ والأرض مـن جلـل الجـوى تتزلـزلُ

وبقافية أولها(من الكامل) :

لأفـول شمـسِ ذا الظـلام المطْبِـقُ ∴ لا مغـربٌ منـه وشـرقٌ مُشـرقُ

وبميمية بدأها بقوله(من الكامل):

ذهَـبَ الضـياءُ فيومنـا إظـلامُ ∴ مـا هكـذا يـا يومنـا الأيـامُ[1]

ورثى قبله والده جاعد بن خميس الخروصي بمرثيتين، مطلع الأولى(من الخفيف):

كسـفتْ للعيـونِ شمـسُ العلـومِ ∴ خسـف البـدرُ في وُجـوهِ النُّجـومِ

ومطلع الثانية قوله(من الكامل):

نَثَـرَتْ علـى شمـس العلـوم نجومَهـا ∴ عـينٌ تَقاسمَهـا البـدورُ همومَهـا[2]

ورثى ابن رزيق أبا زهير مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي صاحب كتاب لباب الآثار ، كان أعمى العينين بصير القلب ، رثاه بمرثيتين ميمية ورائية .

مطلع الميمية قوله(من الكامل):

أفَـلَ المـنيرُ البـدرُ غـاضَ العـيلمُ ∴ فـالجَوُّ مـن جَـونِ الرزيّـةِ مُظلِـمُ

والأرضُ تعثُـرُ في ذيـول حِـدادِها ∴ وتُخمِّـش الخـدَّ البهـيمَ وتلْطُـمُ

والرائية بدأها بقوله (من الطويل):

نجـومَ دمـوعِ الطـرفِ قـد أفَـلَ البـدرُ ∴ وغـاضَ بأحكـام الـردى العـيلمُ البحـرُ

---

(١) ابن رزيق الفتح المبين ص ١٥١

(٢) ابن رزيق الصحيفة القحطانية ج٤/ ١٩٨

ألا فـارجمي الصـبرَ الجميـل فـإنْ قضـى ∴ برجمـــك مـــن عـــذرٍ وإلا فـــلا عـــذرُ[١]

كما رثى علي بن ناصر بن محمد النبهاني التنوفي[٢] ــ وكان صديقا لــه ــ بمرثيتين ، مطلع الأولى قوله(من الكامل):

شـــقّتْ صـــحائفَها يـــدُ الإفصـــاحِ ∴ وبكـــى القـــريضُ بـــأدمعٍ شـــحّاحِ

ومطلع الثانية قوله(من الكامل) :

مـــالُ القـــريضِ تفـــيضُ عينـــاه دَمـــا ∴ أفَمـــاتَ مـــن يحيـــي الكـــلامَ المحكمـــا [٣]

والباحث حينما يوثق هذه المراثي ويورد مطالعها إنما يمهد ذلك لمن يـأتي بعده من الباحثين فينبري لدراسة الرثاء في هذا العصر،وهذا الموضوع جدير بأن يفرد له دراسة مستقلة.

ومن شعراء هذه الفئة هلال بن سعيد بن ثاني بن صالح بن عرابة [٤] شاعر سعيد بن سلطان ؛ فقد لقّبَ هذا الشاعر سعيد بن سلطان قمـر المعـالي فمدحـه وأجزل السلطان عليه العطاء ، ثم مدح من بعده ولديه محمد بن سعيد وهلال بن سعيد ، ومدح غيرهم من أهل عصره أيضا .

له ديوان شعر مطبوع سنة ١٩٧٩ بتحقيق الدكتور داود سلوم ونشر وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ، وطرق فيه موضوعات متعددة كالغزل والرثاء والهجاء ، فقد رثى الشيخ عبدالله بن محمد ورثى والده سعيد بن ثاني بن صالح بن عرابة بقصيدة تقع في واحد وعشرين بيتا ، وهي رائية ومطلعهـا(من الطويل):

تغيّـــرتِ الأوقـــاتُ وانقـــبضَ الـــدهرُ ∴ وقـــد مرضَـــتْ بـــالأفق أنجمُـــهُ الزُّهْـــرُ[٥]

---

(١) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ،ج٤/ ١٩٩

(٢) التنوفي نسبة إلى بلدته تنوف وهي في المنطقة الداخلية من أعمال ولاية نزوى وتبعد عـن مدينة نزوى بحوالي ٢٥ كم

(٣) ديوان التنوفي ،علي بن ناصر بن محمد النبهاني، ط(١) ٢٠٠٢م، نشر مكتبة معالي السيد محمد بـن أحمد البوسعيدي ص ١٥٨، ١٦٠

(٤) ينظر الخصيبي ، شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان ١٢٣/١

(٥) ديوان ابن عرابة ، تح داود سلوم . نشر وزارة التراث القومي ١٩٧٩ ص١٤٧

ورثاه بقصيدة أخرى قافيّة بدأها بقوله (من البسيط):

إنَّ الليـــــاليَ والأيـــــامَ أطـــــراقُ ∴ ولا يـــــدوم لهـــــا عهـــــدٌ وميثـــــاقُ

وتقع في عشرين بيتا .

ومن مدائحه في سعيد بن سلطان قصيدة مطلعها (من الطويل):

ألا كـــمْ جـــرَتْ مـــن مُقْلـــتي عَبَراتهـــا ∴ تُـــــذَوِّبُها في وجـــــنتي زفراتُهـــــا

أنـــوحُ كمـــا ناحـــت هـــديلا حمامـــةٌ ∴ علـــى روضـــةٍ مخضـــرّةٍ شـــجراتُها[1]

وله قصيدة يخاطب فيها البحر عندما طغى إلى بيته في مَـدِّهِ. مطلعهـا(من الطويل):

أبـــا خالـــدٍ ظـــني لـــتحفظ غيـــبتي ∴ وقـــد خـــاب ظـــني خيبـــة إثـــر خيبـــةِ

تطـــوف بنـــا لـــيلا كمثـــل عـــدوِّنا ∴ وقعْوَسْـــتَ داري ثـــم خرّبْـــتَ بقعـــتي

وتبتزُّنـــي مـــن حيـــث أنـــي فاعـــل ∴ وتجتـــاحني حتـــى تناوشْـــتَ طرّتـــي

مرامُـــك مـــني غـــير مـــا أنـــا ضـــامر ∴ وتـــوكزُني حتـــى تـــرومَ منـــيّتي[2]

وقد أجاب نفسه على لسان البحر بقوله (من الطويل) :

أتـــزعم يـــا جـــاري وســـؤْلي ومُنْـــيتي ∴ بـــأني عـــدوٌّ لا ولكـــن مـــودتي

تُقَـرِّبُـــني حتـــى أتيتـــُك زائـــراً ∴ لرسْـــخِ ودادٍ لا لبعـــــدٍ وفرقـــــة

أتيـــتُ بلطْـــفٍ مثـــل ريـــحٍ ضـــعيفةٍ ∴ محمَّلـــة مـــن نشـــر مســـكٍ مفتّـــتِ

وقبّلـــتُ أرض الـــدار حتـــى دخلتُهـــا ∴ وأســـجدُ فيهـــا ســـجدة بعـــد ســـجدةِ

علـــيَّ وَقـــارٌ مـــعْ ســـكينةِ هيبـــةٍ ∴ ومـــن عبْرتـــي تِبْـــرٌ يســـيلُ بـــوجنتي[3]

ومن شعراء هذه الفئة علي بن ناصر بن محمد النبهاني التنـوفي ، عاش في عهد سعيد بن سلطان ، وكان يمدح محسن بـن زهـران بـن محمـد العبري، وأخاه محمد بن زهران بن محمد العبري ، وله ديوان مطبـوع طبعتـه

(١) ديوان ابن عرابة ،تحقيق د.داود سلوم ،نشر وزارة التراث القومي ١٩٧٩م ، ص١٠٥
(٢) نفسه ص ١٠٠
(٣) نفسه ص١٠١- ١٠٢

مكتبة محمد بن أحمد البوسعيدي. نظم هذا الشاعر في المديح النبوي قصيدة عارض بها البوصيري وزنا وقافية ، ومطلعها قوله(من البسيط):

بَرْقٌ تبسّمَ بالزوراءِ والعلَمِ ∴ فأمْطرتْ مُقْلتي دمْعَ البُكا بدمِ [١]

وقد رثى علماء عصره وفقهاءهم . منهم مهنا بن خلفان البوسعيدي صاحب كتاب لباب الآثار، عندما توفي في شهر شوال من سنة ١٢٥٠ هـ رثاه بقصيدة يقول من أولها(من الطويل):

تعودُ مسرّاتُ الدُّنا بيننا ضُراّ ∴ فصِحاّتُها بلوى وخيراتُها شرّا
وإنْ وعَدَتْ خانتْ ومهما توعّدتْ ∴ أتمّتْ وساءتْ باطناً قبُحتْ ظهرا
فما ينقضي فينا قبيحُ صنيعِها ∴ وغاراتُها في فتْكِ أنفسِنا تتْرا
يؤمُّ مجيبا إن دعت كلَّ جاهل ∴ وينخدع المغرور بالغرة الغرا
ألمْ ترَ كمْ ساعٍ بلمْعِ سرابها ∴ تردى وراعٍ من حلاوتها مُرّا [٢]

كما رثى أبا نبهان جاعد بن خميس الخروصي بقصيدة مطلعها (من الخفيف):

غاضَ بحرُ العلومِ في بطن قبْرِ ∴ وخفا شمسُها بأقفر قفرِ
ودَجَتْ بالعمى ليالي ضلالٍ ∴ مُذْ توارى للرشد أكملُ بدرِ
ظُلُماتٌ وبعضها فوق بعضٍ ∴ لا تقدّ القميصَ منها بفجرِ
واختبطْنا العشواء في وعْرِ جهلٍ ∴ بعْدَ نور الإبْصار في كل قطْرِ
ذلك العالمُ المسوّد بالتّقـ ∴ ـوى وبالعلم لا بخزٍ وتبْرِ [٣]

توفي هذا الشاعر في شهر رجب من سنة أربع وستين بعد المائتين والألف[٤] .

---

(١) ديوان التنوفي ، النبهاني، علي بن ناصر ، نشر مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ط(١) (٢٠٠٢) . ص١٢٨
(٢) المصدر نفسه ص١٤٩ ، ١٥٠
(٣) نفسه ص١٥٢
(٤) نفسه. ص١٥٨

ومن شعراء هذه الفئة علي بن ثابت الساساني ، شاعر محمد بن ناصر بن محمد الجبري [١]، له ديوان شعر في مدحه لا يزال مخطوطا ، ومن شعره في مدح محمد بن ناصر الجبري قوله(من الكامل):

حيِّ المنازلَ بعدَ ذاك المنزلِ ∴ قِفْ مُعْولا فيه بدمعٍ مسْبَلِ
واسألْ عن الغادين من عرَصاتهِ ∴ حَلُّوا الأجيرعَ أمْ بدارةَ جُلْجُلِ
أتوطّنوا وادي الغضى أمْ في لوى ∴ باناتِ حيِّ المُنْحنى أمْ حوملِ
أمْ في لوى سعْدا ثوتْ سعداءُ أمْ ∴ أمْ مغنى طويلع أم بساحة جوفلِ
لِلّهِ حيٍّ معاهداً أنا عاهِدٌ ∴ في سوحِها الغاداتِ شِبْهَ الخُذّلِ[٢]

وله قصيد رائية ركّب أول كل بيت منها على حرف الراء أولها(من البسيط):

رضى الأحبّةِ سؤلي بعدما هجَروا ∴ ياليتهم نصحوني قبل ما غدروا
راموا تَلافي بصدٍّ ما به أمَمٌ ∴ بعد ائتلافي بصفوٍ ما بهِ كدرُ

ونسج على هذا المنوال قصائد بعدد حروف الهجاء ، وله أيضا هذه الأبيات (من مجزوء الرمل):

فاض طرفي مستهلا مدمعاً للنحر بلاّ ، فاضحا وبْلاً وطلاّ من مآقيه الذرافِ
فله في الخدّ نهرُ وله في الحجر غدْرُ ، وله في الجيب قطْرُ مثل مرذوم النفافِ في فؤادي حرُّ وجدي مُسْعَراً منه بوقْد ، من هوى المكسال هند بعد وصل وائتلاف قلَّ جَلدي واصطباري مُذْ نآى من صَحْن داري ، يالَهمّي وادّكاري إن تبَدَّى لِيَ نافِ[٣]

هذا وقد تبين من شعراء هذه الفئة أنهم أكثروا من مدح الحكام والسلاطين والأمراء وكتبوا في مدحهم دواوين شعرية وكذلك أكثروا من مراثيهم فيهم.

الفئة الثانية: من شعراء هذه الفئة القاضي أبو الأحول سالم بن محمد بن سالم الدرمكي من أهل (إزكي) له ديوان شعر مطبوع طبعته مكتبة محمد بن

(١) الخصيبي ،شقائق النعمان ١/١٧٠-١٧٥
(٢) نفسه ، الجزء والصفحة
(٣) نفسه ص١٧٥

أحمد البوسعيدي سنة ٢٠٠٠م ، تناول الشاعر في ديوانه عدة موضوعات ؛ فله أرجوزتان إحداهما في تفسير أسماء الله الحسنى ، وهي طويلة تقع في واحد وثلاثين بيتا ومائتين ، والأرجوزة الثانية في منافع القرآن العظيم ،وهي أطول من الأولى إذ تربو على ثلاثمائة بيت ، ومن موضوعاته في ديوانه المدح ؛ حيث مدح حكام عصره وعلماءه. مدح الإمام أحمد بن سعيد بعدة قصائد ، ومدح أولاده هلال وسلطان وطالب ، ومدح سالم بن سلطان .

ومدح ولاة المناطق مثل محمد بن عقيل حاكم ظفار ووالده عقيل كذلك قبله، ومدح محمد بن سعيد والي إزكي وغيرهم . أما بنو خروص ممثلين في أبي نبهان جاعد بن خميس فقد مدحهم ومدحه بعدة قصائد ، ومدح نجله أيضا ناصر بن جاعد بعدة قصائد ، وطرق الهجاء والرثاء ، فرثى سلطان بن الإمام أحمد بقصيدة طويلة تقع في أربعين بيتا ونيّف ، ورثى حمد بن سعيد بن الإمام أحمد وغيره ، وطرق أيضا الغزل والحكم والمواعظ .

كان يقال له عراقيّ عمان في براعة الشعر وانسجام معانيه الدالة على بلاغته ،استقدمه حمد بن سعيد بعدما وُلّيَ الحكم وهو يومئذ ببركاء [١]، والشيخ سالم بإزكي فلما وصله رفع محله وأكرم مثواه وفوّض إليه القضاء والحكم الشرعي،وله في إكرامه قصة أوردها ابن رزيق في الصحيفة القحطانية[٢]، فمدحه بقصيدة شاعت في البلدان وتغنت بها الحداة والركبان.مطلعها(من الكامل) :

مابين بابي عين سعنة والـيمن ∴ سوق تباع بها القلوب بلا ثمن

تجروا من احتكروا به وتحكموا ∴ فجواب من يستام منهم لا ولن

فلما توفي حمد سنة ١٢٦٠ هـ [٣] ملَكَ عمان سلطان بن أحمد بن سعيد بن الإمام أحمد ، فأقعد الشيخ الدرمكي بمسقط للقضاء ، وأحسن إليه غاية الإحسان[٤]،

(١) بركاء هي ولاية على سهل الباطنة . تبعد عن مسقط العاصمة بحوالي ٤٠ كم
(٢) ينظر ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية . ج٥ /٥٧-٥٨
(٣) يبدو أن ابن رزيق غير دقيق في تحديد السنوات ، فقد ذكر في ج٥/٦٨ أن الدرمكي توفي سنة ١٢٢٤ه في سداب ، وهو هنا يورد أنه لا يزال حيًّا إلى سنة ١٢٦٠ه .
(٤) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية . ج٥ / ٦٥

ولما قتل سلطان وأفضى الملك لولده سعيد بن سلطان أقرّ السيد سعيد أيضا الشيخ الدرمكي في القضاء والمكاتبة بين الناس بمسقط "[١]. وأسرة الشيخ سالم أسرة علم وأدب ، فولده حميد ابن سالم فقيه ومن أهل المشورة والرأي الحصيف ، وهو من الذين اتخذهم سالم بن سلطان للمشورة ونظم الآراء وميّز تخصيصهم عن العامة[٢] ،.أما أقاربه الآخرون فهم أيضا شعراء ؛ منهم الوالي محمد بن عبدالله الدرمكي ،له عدة قصائد في مدح الإمام أحمد بن سعيد وولده هلال ، ومنهم يحيى بن عبدالله الدرمكي له قصائد عديدة .وقد توفي سالم بن محمد بقرية سداب من أعمال مسقط ١٢٢٤ هـ [٣] .

من الشعراء الذين تولوا مناصب القضاء عامر بن علي بن مسعود العبادي من أهل (نزوى) ، قال عنه السالمي " هو الشيخ العالم عامر بن علي الذي ولاه الحكم أكثر أهل زمانه في العلم ، وأما في العمل به فالإعراض عن الكلام في بيان ذلك ورسمه أحرى ، ولا فائدة لنا في ذلك " [٤] . ولقد نظم قصيدة في أولاد جاعد بن خميس يعرّض بهم فيها ومطلعها (من الوافر):

محال أن تكون لنا بقاعُ ∴ (مناديسا)[٥] يُدسُّ بها المتاعُ
وعزّاً للرجال إذا اعتراها ∴ تداءٌ وافتتان أوضياعُ
ولكنّ الرجالَ لهمْ طباعٌ ∴ تُصانُ بها المواضعُ والضياعُ

إلى أن قال:

كفاك بما تراه من الرزايا ∴ بوادي بني خروصٍ والسماعُ
بموت ذوي الحلوم فتى خميسٍ ∴ وربّاني الورى وقع الشناعُ

---

(١) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٥/ ٦٨
(٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ص٤٤٤
(٣) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٥/ ٦٨
(٤) السالمي ، عبدالله بن حميد ، تحفة الأعيان ، مطبعة الإمام بمصر ، دون تاريخ ١٦٩/٢
(٥) مفرده مندوس ،لم أستطع الحصول على أصل لها يناسب السياق فيما توفر لدي من معاجم في (اللسان والتاج ،والقاموس المحيط)ولعلها من الألفاظ العامية عندنا في عمان فالمندوس صندوق من الخشب القوي مزين بدبابيس من النجوم تحفظ فيه المرأة حُليّها وما غلا من متاعها .

لقد ذهبت مهابته وضلت ∴ فلا يُرجى لها فيه ارتجاعُ
وتاه المحتمون به فعابوا ∴ وشيكاً عاقهم عنه انتجاعُ
وشتت شملهم وذرى ذراهم ∴ ونالَ حماهمُ العالي اتّضاعُ
فلم تحميهم السمر العوالي ∴ ولا ما شيّدوه ولا اجتماعُ[1]

وفي آخرها يقول :

فياخُسْرُ البرايا حين أودى ∴ أبو نبهان حاق به الضياعُ

وشعر هذا الشاعر في مجمله نظم موزون مقفى لا يرقى أن يوصف شعرا ؛ لأن روح الشاعرية تخبو لديه

ولما خلصت المودة والصحبة بين الشاعر ابن رزيق وبين ناصر بن جاعد بن خميس ؛ وذلك عندما تبحّر الشيخ ناصر في العلوم نظم ابن رزيق قصيدة يردّ فيها على العبادي وشرحها ناصر بن جاعد شرحا وافرا طويلا حتى كاد أن يضيق السفر بشرحها . ومطلعها (من الطويل):

سنا الحقِّ لا يخفى من البرق ألمحُ ∴ وأنواع مَرْآه من النوءِ أملحُ[2]

طبع ديوان هذا الشاعر سنة ١٩٩٦ م وتولت الإشراف عليه مكتبة محمد بن أحمد البوسعيدي واسم ديوانه(أنوار الأسرار ومنار الأفكار) وأكثر شعره في المواعظ والحكم والنصائح ، وله مراث عديدة ؛ منها تخميس لقصيدة والده علي بن مسعود في رثاء أستاذه جمعة بن علي بن سالم الصائغي وهي طويلة جداً تقع في عشرة أبيات وثلاثمائة ، ورثى والده بقصيدة طويلة تقع في خمسة أبيات وأربعين ومائة ، ورثى علماء عصره من أمثال جاعد بن خميس الخروصي، والشيخ مهنا بن خلفان البوسعيدي صاحب كتاب(لباب الآثار) ، ورثى أشخاصا آخرين من مثل ناصر بن مسعود العدوي ، ومحمد بن سليمان الكندي وغيرهم .وينظم قصائد في الوقائع والأحداث التي تقع في عصره ؛ فهو يؤرخ للموت الذي عمَّ عُمان وقد مات منه الكثيرون بعام ١٢٣٦هـ ويؤرخ للطاعون الذي أصاب

(١) المصدر نفسه ١٧٠/٢
(٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص٣٩١

عُمان في سنة ١٢٤٧هـ ، ويؤرخ للحوادث التي جرت على مدينة نزوى في عام ١٢٢٨هـ وأرخ لظاهرة وقعت سنة ١٢٥٢هـ وهي نبات شجرة السعد على رأس حلقة المرجل ، وقد نبتت في الإسمنت عندما كان الطبخ قائما على المرجل ليلا ونهارا، وقت صناعة السكر وطبخه ، وبقي ذلك النبت زمانا على حسن خضرته ونضارته فقال قصيدة وعظية مطلعها(من الكامل):

خرج النبات على الجحيم الساعرة ∴ بالمرجل الغالي عصير العاصرة
ثقَبَ المذاب من التراب عقيب ما ∴ صحّ الصلاح به جدار الحافرة[1]

وله قصيدة تاريخية طويلة تقع في ثلاثة أبيات وخمسين وثلاث مائة وله قصيدة تقع في تسعة وثمانين بيتا يعارض فيها معنى وإيقاعا قصيدة صالح بن عبد القدوس وهي أطول منها إذ تتكون قصيدة صالح بن عبد القدوس من خمسة وأربعين بيتا مطلعها(من الكامل) :

صرمتْ حبالك بعد وصلك زينبُ ∴ والدهر فيه تصرُّمٌ وتقلُّبُ[2]

ومطلع قصيدة عامر العبادي هو(من الكامل):

يا مَنْ يراعي الصالحات ويطلُبُ ∴ سُبُلَ الهداية للسلامة يرغبُ
ويخاف من غضب المهيمن حينما ∴ يدعو البرية للحساب وينصبُ
ما بينهم تلك الموازين التي ∴ فيها سيرحم من يشا ويعذب
فاسمعْ هديتَ النصح من طبِ طوى ∴ خلق الكرام وللأمور مجربُ[3]

والقصيدة معانيها وعظية وأسلوبها تقريري مباشر ، وفيها معان بسيطة التركيب قريبة المأخذ في سياق وصفي عامي يقصيها عن الجو الشعري .

---

(١) ديوان العبادي ، عامر بن علي ، نشر مكتبة محمد بن أحمد المطبعة الوطنية ،روي، ط ١، ١٩٩٦/، ص٢٩٠

(٢) الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم، جواهر الأدب ، مؤسسة التاريخ الأدبي ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ط(١) د.ت.،ص٤٨٥

(٣) العبادي، عامر،ديوان أنوار الأسرار ومنار الأفكار ،نشر مكتب محمد بن أحمد البوسعيدي،(ط١)١٩٩٦م،ص٧٥

نخلص من الفئة الثانية وعرفنا أن بها شاعرين هما سالم الدرمكي وعامر العبادي، فالدرمكي شاعريته أرقى بمقاييس أهل زمانه في شعره ؛ذلك لأنه حين أنشأ نونيته في مدح حمد بن سعيد تصدى لمعارضته ومناضلته مجموعة من شعراء عصره، وذلك لا ستحسانهم لها ولجودتها في معاييرهم النقدية آنئذ. أما العبادي فهو قاض فقيه غلبت على شعره الألفاظ الفقهية والوعظية والمعاني السطحية والنثرية، والألفاظ الموشاة بالمحسنات البديعية كقوله(من الكامل):

دع عنك ظن السوء بي من أنني ∴ أرضى النوى والقول مما قالها
ذو الفحش بي من غلظة وفظاظة ∴ ومضاضة وعداوة قد نالها
مني فذلك منه أفحش ما أتى ∴ في صحبتي وأخوتي أعمى لها[١]

فمع ما في هذه الأبيات من معان سطحية نثرية وألفاظ خطابية مباشرة فإن كل بيت مفتقر إلى صاحبه بعده لإتمام معناه وهذا هو التضمين الذي عابه النقاد القدامى .[٢]

الفئة الثالثة: من هذه الفئة الشعراء العلماء ذوو الصلاح والإصلاح، الذين أكثر شعرهم في الوعظ والسلوك الديني وفي مقدمتهم " جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى الخروصي أبو نبهان ،وُلِدَ سنة ألف ومائة وسبع وأربعين[٣]، شيخ راسخ في العلم تصانيفه كثيرة مشتملة على فوائد جمة ، وجواباته النورانية وتفسيره لفاتحة الكتاب شهدا له بالبراعة والبلاغة وله اليد الطولى في العلم الشريف ، وهو خاتمة جهابذة علماء عُمان"[٤]، لقّبه أهل زمانه بالرئيس لرسوخه في العلم وتقدمه فيهم بالعلم والفضل والشرف " واتخذه الناس قدوة في مراشد دينهم وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه "[٥] ، ولشعراء عصره في

(١) العبادي ،ديوانه، ص١٨٣-١٨٤
(٢) ينظر مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم ٣٤٩/١-٣٥٠
(٣) ابن رزيق، الصحيفة القحطانية ،ج ١٩/٤
(٤) ابن رزيق الفتح المبين ، ص١٤٧
(٥) الخصيبي ، شقائق النعمان ،١٣٩/١

مديحه جملة قصائد طنانة منهم ؛ منصور بن ناصر الخروصي الستالي [١]، وناصر بن محمد بن سليمان الخروصي الحاجري [٢] السمائلي [٣]، والشاعر الغشري ، والشاعر الدرمكي ، والشاعر راشد بن سعيد بن بُلَحْسَن العبسي الرواحي ، ومجموع قصائد هؤلاء المادحين يسمى (قلائد المرجان في مدح أبي نبهان) [٤] ، وأغلب شعره الذي توصلتُ إليه من بطون الكتب والمخطوطات في السلوك والحكمة والتأمل ومحامد الأخلاق ، وهو قويُّ المباني غريب المعاني لا يتوصل إلى معانيه إلا بعد جهد وكدّ للذهن وإمعان وإنعام فيه من ذلك قوله من قصيدة مطلعها(من الكامل):

الدِّينُ دِينُ والْمُدانُ حُمارِسُ ∴ صعْب المِقادة والدّدان خلابسُ
والأمر جدّ والجسوم هياكلٌ ∴ والروح غيبٌ والنفوس عساعسُ
ولها صفاتٌ رُكِّبتْ في ذاتها ∴ ولسائر الأعضاء منها كراكس
وصفاتُها محمودة مهما إذا ∴ نور الإله للشكاكة لاطسُ
والنور ينسخ طرمِساءَ ظلامها ∴ والنفس فيها للعقول منادس [٥]

وهذه القصيدة تقع في أربعة أبيات وعشرين ومائة ، وله قصيدة أخرى مثلها في الطول سمّاها(حياة المهج) ومطلعها(من الطويل):

تبيّنْ أخي في اللهِ قولي فإنني ∴ على النصح في ذات الإله مع العتبى
وأهديه صرفا في عموم أولي النهى ∴ كذا في خصوص من عموم أولي القربى
وأدنى قريبٍ كان ذاتي حقيقتي ∴ فنفسي به أحرى بديّاً وإن تأبى
أراها على قبح الصفات ذميمة ∴ ومن سوئها تسعى بمسعى الردى دأبا [٦]

---

(١) الستالي نسبة إلى بلدته ستال من وادي بني خروص
(٢) الحاجري ،نسبة إلى الحاجر وهي قرية في قلب سمائل تقابل قرية الغبرة من الجهة اليسرى للقادم من المدره ومن الجهة اليمنى للقادم من مسقط ، يفصلهما مجرى وادي سمائل.
(٣) ولاية سمائل تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ١٠٠كم ، وهي حلقوم المنطقة الداخلية.
(٤) الخصيبي ، الشقائق ،١٤٨/١
(٥) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٤/ ١٨٠
(٦) مجموع القصائد، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، بديّة، مخطوط،ص٧٤ ،وينظر ابن رزيق، الصحيفة،ج٤/ ١٩٢

توفي الشيخ جاعد رحمة الله عليه في يوم ثالث من شهر الحج عام سبعة وثلاثين ومائتين بعد الألف[١]، رثاه جملة من شعراء عصره ؛ منهم ابن رزيق رثاه بمرثيتين، ومنهم علي بن ناصر النبهاني التنوفي ، ومنهم سعيد بن محمد الغشري ، ورثاه أيضا ثنيان بن ناصر بن خلف الزاملي بقصيدة فائية بدأها بقوله (من الخفيف):

غالَ شمسَ العلوم جهراً كسوفُ ∴ واعترى بدْرَها السنيَّ الخسوفُ
ودهى الدين والتقى والمعالي ∴ وجميع الأنام خطب مخوفُ
ودجى ليلَ مُشْجياتٍ مُصابٌ ∴ عاق قلبَ الزمان منه رجيفُ
حين أودى خليفة الله في الأر ∴ ـــــضِ وولى الصلاحُ والمعروفُ
كلَّ سِفْرٍ بما لديه شهيدٌ ∴ أبَدَ الدهر من علوم يضيفُ [٢]

ومن شعراء هذه الفئة في هذه المدة سعيد بن خلْفان بن أحمد بن صالح الخليلي، وُلد في بلدة بوشر[٣] سنة ١٢٣١ وقيل سنة١٢٣٦ [٤]، أخذ العلم في أصول الدين وأصول الفقه عن الشيخ ناصر بن أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي، وأخذ العربية نحوها وصرفها على يد الشيخ حماد بن محمد البسط ، من أهل الباطنة، وكان هذا الشيخ ضليعا في العربية ، ولما تبين له قدرة تلميذه سعيد في العربية طلب منه نظم كتاب الكافي في العروض والقوافي ، فلبى دعوة شيخه ، ونظمه ثم شرحه وسمّاه (مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي) وله كتاب(مقاليد التصريف) وهو عبارة عن أرجوزة تحتوي على ألف بيت ، ثم شرحها بتوجيه من شيخه أبي نبهان ، ويقع هذا الكتاب في

(١) ينظر الخصيبي، الشقائق ،١٣٩/١.
(٢) المصدر نفسه ١٥٢/١.
(٣) ولاية بوشر الآن هي الغبرة شمالها وجنوبها ، والخوير والأنصب والحمّام ، وهي الآن تابعة لمحافظة مسقط ، مركزها الإداري الغبرة ،وبوشر الداخلية تضم عدة قرى ، منها بوشر بني عمران وسيبا والفتح وغيرها. ينظر ، الراشدي، مبارك بن عبدالله،الشيخ سعيد بن خلفان وفكره، فعاليات المنتدى الأدبي، قراءات في فكر الخليلي ،ط١ ١٩٩٤ ص١١٢.
(٤) المصدر نفسه وكذلك الصفحة.

ثلاثة أجزاء ، طبع على نفقة وزارة التراث القومي ، وله (أسنا الذخائر في فك الدوائر) في علم العروض وهي قصيدة بائية وشرْحُه عليها وهي مخطوطة ، وله (سمط الجوهر الرفيع في فن البديع)[١] ، ومن مؤلفاته في العلوم الإسلامية كتاب(النواميس الرحمانية) نشر مصورا عن مخطوطه عام ٢٠٠٠م ، وكتاب(تمهيد قواعد الإيمان) نشرته وزارة التراث القومي، وله(إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)حققه الباحث صالح الربخي فأخذ بموجب تحقيقه له درجة الماجستير من جامعة آل البيت ، وله(الفتح الجليل من جوابات أبي خليل) منشور، وله ديوان شعر حققه الباحث عادل بن راشد المطاعني وأخذ بموجب تحقيقه درجة الماجستير من جامعة السلطان قابوس ونشر سنة ٢٠٠٣م ، وقد درست الباحثة شريفة بنت خلفان اليحيائية شعره دراسة تحليلية ، أخذت بموجبها درجة الماجستير من جامعة السلطان قابوس ، وأغلب شعره في الزهد والسلوك وفي فتوحات الإمام عزان بن قيس. ومن قصائده في السلوك قصيدة (سموط الثناء) تتكون من أربعة وثمانين بيتا شرحها العلامة جمعة بن خصيف الهنائي ، وخمّسها أبو مسلم الرواحي[٢] وأولها(من الطويل):

سموطُ ثناءٍ في سموط فريد ∴ بكل لسان قد بُثِثْنَ وجيدِ
وحمدٌ تغصُّ الكائنات بنشره ∴ إذا نشَرَتْ منه أجلَّ بُرودِ
وذكر له تحيا النفوس بذكره ∴ ويبعث قبل البعث من هو مودي
تعطّرت الآفاق من طيب عَرْفه ∴ فما مسْكُ دارِينٍ يشاب بعود[٣]

وهي نظمية أكثر من كونها شعرية تخبو فيها اللغة الشاعرة ؛لأنها أبدعت للابتهال والتضرع .

---

(١) حققه الباحث محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي وأخذ بموجب عمله فيه درجة الماجستير من جامعة نزوى .

(٢) ينظر ديوان أبي مسلم البهلاني ، تحقيق عبد الرحمن الخزندار ، طبعة ١٩٨٦ ،ص١٥٤-١٧١

(٣) الخصيبي ، الشقائق ٣٣٤/٢

ومن شعراء هذه الحقبة سعيد بن محمد بن راشد الخروصي الملقب بالغشري . يذكر الخصيبي أنه من الرستاق[١]. عاش في نهاية حكم اليعاربة وأدرك الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي. وقد وجّه قصيدة للإمام أحمد بن سعيد يحمَده وينصحه فيها ،قوامها ثمانية وخمسون بيتا ومطلعها(من البسيط):

عُجْ عن وصال ذوات الدلِّ والحَوَرِ ∴ المائسات ذوات الرونق النضِرِ
من كل فتّانة العينين واضحة الـ ∴ خدّين ميّاسةٍ دُرّيّةِ الأشَرِ
ثقيلة الردْفِ لفّاءٌ إذا خطرت ∴ شمسيّة الوجه بل ليليَّة الشعَر
بيضا كعوبٌ لعوبٌ غادة عبَقٌ ∴ مسْكيّة النشرِ ذات الخاتم العطِر
دعْها فكم سحَرتْ بالسحر ذا غَررٍ ∴ وخلّها لأولي اللاهين وابتَكِرِ[٢]

وديوانه مليء بالنصح والإرشاد والحكم ، وذكر المولى جلّ وعلا ومدح الرسول ﷺ، وله أرجوزة طويلة في الأدب والسياسة ، ونجد في ديوانه قصائد يؤرخ فيها للأحداث التي تقع في زمانه في عُمان. فمن ذلك يؤرخ للأمطار الغزيرة التي وقعت في عُمان وأفسدت الزروع والأموال في سنة ١١٤٦هـ .

وفي سنة ١١٦٥ هـ أرخ لحوادث وقعت في عُمان وحدد موقعها سوني القديمة، وهي بلدة العوابي الحالية[٣]، ولكن لم يذكر ممن وقعت تلك الحوادث بالتحديد إلا أنه ذكر بأنهم أعراب لئام . وقد أرّخ لبناء مسجد الشرادية في سنة ١١٣٧هـ ، وارّخ لتمام بناءٍ بعام ١١٤٤هـ .

وله قصيدة طويلة سماها (سلك الأخيار ومرآة الأفكار) في بعض حوادث عُمان[٤]، وأرخ لوفاة والدته في مرثيته لها بعام ١١٣٧هـ [٥]، كما رثى والده محمد بن راشد

(١) ينظر الخصيبي ، الشقائق ١٠٦/١
(٢) ديوان الغشري، نشر وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان ،عام ١٩٨١ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ص١٦٤
(٣) المصدر السابق ص ١٢٣
(٤) ينظر ديوانه ص١٤٥
(٥) ينظر ديوانه ص١٠٨

وعمَّيه(عامر ومسعود)[١] ، وقد وجه قصيدة ينصح فيها إمام المسلمين في عُمان سلطان بن مرشد اليعربي ، وكان خطابه له خطابا مباشرا مطلعها:

إليـــك إمـــام المســـلمين نصـــيحة ∴ ونصـــحي يبـــدو لا يجـــافي مقـــالتي[٢]

والغشري لم يطرق أبواب السلاطين وذوي الجاه لمدحهم تزلفا وتملقا لهم ، وذلك لما يتصف به من زهد وورع وعفة فيه، فنجده يقول(من الطويل):

أبـــتْ همـــتي مـــدح الملـــوك وإن هُـــمُ ∴ إذا ملكـــوا الـــدنيا وكـــل القبائـــل
لعلْمـــي بهـــم في الضـــعف مثلـــي وإنهـــم ∴ يخـــافون مـــن فقـــرٍ ووقْـــع النـــوازلِ
ولم يسَـــعوني مطلـــبي وحـــوائجي ∴ فوجَّهْـــتُ حينًـــا للإلـــه وسائلـــي[٣]

ويقارن في موضع آخر بين مدح الملوك وحمدهم وحمد الله جـلَّ جلالـه فيقول(من الطويل):

إذا مـــدحوا أهـــلُ القـــريض ملـــوكهم ∴ فـــإني بحمـــد الله حامـــدُ
وإن قرعـــوا بـــاب الملـــوك ونافســـوا ∴ وصـــدّهمُ دون الملـــوك الصـــناددُ
قرعْـــتُ لبـــابِ اللهِ ملْـــتمس الغنـــى ∴ فأنـــتَ وعنـــدي للإلـــه عوائـــدُ[٤]

إلى أن يخاطب الشعراء ليلقنهم الموعظة فيقول: (الطويل)

مســاكين أهــل الشــعر خــاب رجــاؤهم ∴ تـــراءى لهـــم لمـــعُ الســـراب مـــوارد
أيرجـون مـن في الخلـق والضـعف مثلـهم ∴ وفي ضـــعفهم مـــنهم علـــيهم شـــواهد[٥]

وهذه الأبيات الخمسة التي سقناها نلحظ بها لغة أكلوني البراغيث وهي لغة قديمة تحدثت بها بعض قبائل العرب مثل قبيلة أسد وبلحارث بن كعب وذلك فـي قوله:"إذا مدحوا أهل القريض ملوكهم" فجعل للفعل مدح فاعلين(واو الجماعـة،و أهل).

(١) ينظر ديوانه ص٣٥
(٢) ينظر ديوانه ص٧٥
(٣) ديوانه ص٢٩٢
(٤) ديوانه ص١٠٥
(٥) المصدر نفسه ص١٠٥

وقد أقحم حرف اللام حشوا في قوله:"قرعْتُ لبـاب الله" ؛وذلـك ليسـتقيم الوزن، كما نلاحظ الإقواء فـي قولـه:" تـراءى لهـم لمـع السـراب مـوارد" فـ(موارد)من حقها النصب ؛لأنها مفعول به لـ (تراءى) ولكنه رفعها مضـطراً من غير مسوغ .

ومن قصائده في الحكم والآداب والسياسة عينية ، منها قوله(من الطويل):

وأكـذب ظنـاً مـن يرجّـي مثوبـة ∴ وفي مجلـس الأهـواء والغـيّ كـارعُ

فمـن يرتعـي روض الأمـاني فهـازل ∴ مـدى الـدهر والأيـامَ طـاوٍ وجائـعُ[1]

وللشاعر سعيد بن محمد مقامات عدة على منوال مقامات الحريري؛ منهـا المقامة السونية . قال فيها:" روى اليافث بن تمام، قال:أجدبتْ أرضنا ذات سنة ، حتى منع الطوى من السنة، وأقوتْ من الأقوات الربوع والمرابع،فلذا تجافينا من الجفا عن المضاجع،وأمسكت السماء عن الرجع، والأرض عن الصدع، ولم يبـق وسنان يغط ، ولا بعين يأط،وطالما استسقينا فلم نسق ديمـة ،فحينئـذ أزمعْـتُ الترحال إلى سوني القديمة"[2]

لقد طبعت وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان ديوان الغشري ونشرته عام ١٩٨١ بتحقيق ومراجعة وشرح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، ولكن قـاريء الديوان لا يلبث أن يجد أخطاء مطبعية ومنهجية ، لا يصلح في ضوء وجودها أن يطلق على الديوان لفظة تحقيق؛لأن منها ما يتعلق بأوزان القصائد وبحورهـا ، ومنها ما يتعلق بالشرح والتحقيق ومعرفة المادة المحققة ، ولا يعني الباحـث أن يتتبع هذه الأخطاء ولكن يكتفي أن يشير إلى ما حدث من مثل هذه الأخطاء فـي صفحة واحدة فقط وهي صفحة ٢٩٧. فقد كتب المحقق في أول القصـيدة بـين قوسين{مضطربة الوزن وأكثرها من الرجز}.

فنسأل المحقق إذا كان أكثر القصيدة من بحر الرجز فإلى أي بحـر يَنسـب الأبيات المتبقية الأخرى؟. ونجيبه بأن القصيدة كلها من مجزوء الرجز (مستفعلن

(١) نفسه ص٢٤٤
(٢) ابن رزيق، الصحيفة ٤٤/٥

أربع مرات)، والمحقق لم يحسن توزيع أشطر القصيدة ، فقد جعل البيت الواحد في شطرة واحدة ؛ بحيث أن جعل بيتين وكأنهما بيت واحد ، وكتب الأبيات كالتالي(من مجزوء الرجز):

ولا تلم للعاقل من أمرد وكاهل ∴ إذا تمنى قائلا مخافة الزلازل

وليتني فلم أكن من عُظم أمرٍ قائل ∴ أو طائر محلقا بجملة العلاعل

ويجب أن تكتب أبيات مجزوء بحر الرجز التي منها هذه القصيدة هكذا:

ولا تلمْ للعاقلِ ∴ من أمردٍ وكاهلِ

إذا تمنى قائلا ∴ مخافة الزلازلِ

وليتني فلمْ أكن ∴ من عُظْمِ أمرٍ قابلِ

أو طائرا محلقاً ∴ بجملة العَلاعَلِ

وفي القصيدة زحاف كالخبن والطي فـ(الخبن :حذف الحرف الثاني الساكن من مستْفْعلن فتصير مُتَفْعِلُن وينقل إلى مَفَاعِلُن) و(الطيّ: هو حذف الحرف الرابع الساكن من مستْفْعلن فتصير مسْتَعِلن وتنقل إلى مُتَفْعِلن)[٢]. وهذا الزحاف موجود في شعر العرب وقارّ في علم العروض. فالبيت الذي به الطيّ هو قوله :

نَشْرَبُ مِمّا هَطَلتْ ∴ نَوْءُ السحابِ الهاطلِ

وتقطيعه:

نشربمم ماهطلت ∴ نوء السحا بالهاطلي

0/ / /0 /0 /0 ∴ 0/ 0/ /0/ / 0/ /0 /0 0

مسْتَعِلن مسْتَعِلن ∴ مسْتفْعِلن مسْتفْعلن

وينقل مُسْتَعِلن إلى مُتَفْعِلن والأبيات الأولى التي استشهدنا بها كلها فيها خبن مثال ذلك:

وتقطيعه: ولا تلم للعاقلي من أمردن وجاهلي

0//0//0//0/0/ 0//0/0/ //0

متفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(٢) د.الشاويش،غالب بن محمد محمود، الكافي في علم العروض والقوافي،مكتبة الرشد، الرياض،السعودية،ط ٢ ،٢٠٠٢م

التقطيع : إذا تمننى قائلن مخافة الزلازلي
//0//0 0//0/ //0// 0//0
مفاعلن مستفعلن مفاعلن مفاعلن

أما ما يتعلق بضبط النص فإن الواو في البيت الأول (ولاتلم) سقطت وكذلك الواو في البيت الثالث (وليتني) ، والمحقق لم ينتبه لها ؛ فلذلك وسم المحقق هذه القصيدة بالاضطراب ؛ للزحاف الموجود فيها الذي لم يستسغه ذوقه النقدي ، وللسقط في الحروف الذي لم ينتبه إليه ، ولعدم وجود توزيع الأشطر في الأبيات توزيعا صحيحا ؛ ربما لأنها جاءت في أصل المخطوط هكذا مكتوبة .

أما ما يتعلق بالشرح فإن المحقق على ما يبدو يجهل المادة العلمية التي تعرض لها بالتحقيق كما مرّ سابقا، وكما نرى في شرحه أو تعليقه على البيت التالي :

أو طائرا محلقا ∴ بجملة العلاعل

علّق المحقق على كلمة (العلاعل) بقوله :(جمع شاذ للعلو أي بجملة الأعالي). فسياق النص يتحدث عن الطائر المحلق مع تلك المجموعة من الطيور، وهذا الطائر اسمه (العَلعَال) ،فالعلاعل ليست جمعا للعلو _ كما توهمها _ وإنما هي جمع لاسم ذلك الطائر .

ولا يريد الباحث أن يبسط القول في الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المحققون الذين حققوا دواوين الشعراء العُمانيين ، فقد أعطينا نموذجا لهذه الأخطاء في دراستنا لديوان سالم بن غسان اللواح الخروصي[١].

الفئة الرابعة : وهم شعراء كان لبعضهم صيت وسمعة عند معاصريهم من الشعراء، وغيرهم؛ لجودة شعرهم ومدحهم لبعض الشخصيات المهمة في زمنهم، وبعضهم الآخر ما كان لهم صيت منتشر عند معاصريهم من الشعراء مع أن شعرهم كانت تشهد له فحول الشعراء في عصره، لكنه لم يُكتب لشعرهم الانتشار.

(١) ينظر ، الحسيني ، راشد بن حمد ، اللواح الخروصي حياته وشعره ، مطابع النهضة ، ط ١، ١٩٩٦ ص٥٧-٧٥

من الشعراء الذين ذاع صيتهم الشاعر الفصيح راشد بن سعيد بن بُلَحْسَن الرواحي الأعمى السيماوي[١]، مدح الإمام أحمد بن سعيد بقصائد عدة ، ومدح جاعد بن خميس الخروصي ،قال ابن رزيق (وفد شعراء العصر على الإمام أحمد بن سعيد ، فمدحوه وأخذوا جوائزهم ، وكان أشعرهم وأبرعهم وأبلغهم في صيغة الشعر الشيخ الفصيح راشد بن سعيد بن بلحسن الرواحي)[٢] .وله قصيدة في مدح جاعد بن خميس الخروصي ركّب أوائل أبياتها على حروف الهجاء وجعل الحرف الذي يبدأ به البيت يتكرر في أثناء البيت نفسه فقال(من الكامل):

أسْنا الأحبةِ أنتِ يا أسماءُ ∴ وأشمُّ أنفٍ أنفُكِ الشمَّاءُ
بُرّي بصبٍّ في البلابلِ مُبْتلى ∴ بهوى الكواعبِ والكَعابُ بلاءُ
تعَبي بتَذكار التي آتيتُها ∴ من مهجتي ما تشتهي وتشاءُ
ثبتتْ تعيثُ تثبُّتاً بأثيثها ∴ ويحثُّ عن مثوايَ ثمّ ثراءُ
جالتْ جيادُ جمالها في مُهجتي ∴ ومَجالُهنّ الجَزْعُ والجرْباءُ [٣]

فالبيت الأول بدأه بحرف الألف (أسْنا) وكرر حرف الألف في البيت سبع مرات وجعل تكرار الحرف في أول الكلمة فـ(الأحبة، أنت ، أسماء، أشم ، أنف ، أنفك) وقعت الألف في أول كل هذه الكلمات ، وجاء البيت الثاني وبدأه بحرف الباء إلا أنه عند تكرار الباء في (بُرّي) جعله في أول الكلمة أما(بصبّ ، البلابل، مبتلى ، بهوى) فقد راوح في جعله في الأول وفي الآخر ، وفي الوسط، أما(الكواعب والكعاب وبلاء) فراوح في جعل الباء أيضا بين آخر الكلمة وأولها ، وهكذا في بقية الأبيات الأخرى يبدأ البيت بحرف ثم يكرره في أثناء البيت بجعل هذا الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها.وهذه صنعة تكاد تكون منتشرة عند أكثر شعراء العصر.

وتظهر في المقطوعة السابقة الغثاثة وجمال التصوير؛فالغثاثة في البيت الذي قبل الأخير"ثبتت تعيث تثبتا بأثيثها"فانتشار حرفي الثاء والتاء وتوالي

(١) السيماوي:نسبة إلى بلدته سيما،وهي من أعمال ولاية إزكي.ينظر الخصيبي، الشقائق ١١٣/١
(٢) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٥/ ٣١٢- ٣١٧، والفتح المبين ص٣٦٦- ٣٦٧
(٣) الخصيبي ، شقائق النعمان ، ١٥١/١

التاءات في (ثبتت تعيث تثبتا) أحدث تنافرا في النطق وأبعدها عن خصائص الفصاحة وسقطت المعاني في تلك التاءات والثاءات وأصبحت باهتة المعالم.

أما جمال التصوير فقد ظهر في البيت الأخير(جالتْ جياد جمالها في مهجتي) بما حمله من صورة فنية لتلك الجياد ، التي لها مسرح في مهجته تصول وتجول فيه ، فهي صورة حركية ، صورة جولان الجياد في المسرح.

وأورد ابن رزيق لهذا الشاعر ست قصائد في مدح الإمام أحمد بن سعيد ، وواحدة في مدح ولده هلال بن أحمد[١].

ومن شعراء هذه الحقبة الشيخ الأصم سيف بن ناصر بن سليمان المعولي المسلْماتي[٢]،كان جيّد الألفاظ في النظم والنثر، وصياغته للشعر أحكم من صياغته للنثر، وهو في زيّ الفقراء في التواضع للناس ، صفر اليدين من المال، ولم يحظ بشعره على نائل من الناس على كثرة إلهاجه بنظم الشعر ، وبعثه إلى الأكابر ، و حسنت الصحبة بينه وبين ابن رزيق ، وقد أغراه بعض رجال المعاول بهجاء الشاعر علي بن ثابت الساساني، وعليّ يومئذ مقيم ببلدة(أَفي) [٣]في ذرى الشيخ الفاضل مهنا بن بلعرب المعولي ، فصنع سيف في علي الساساني أبياتا يهجوه بها، فلما بلغت الأبيات عليّاً ارتحل في الحال من أفي قاصدا الشيخ محمد بن ناصر الجبري وهو يومئذ حاكم بلدة سمائل ، فلما وصل في بعض الطريق نظم أبياتا هجائية في سيف خاصة وفي سائر المعاول عموما .

وعلى كثرة ما نظمه الشيخ سيف بن ناصر من الشعر لم يدونه ولا دوّنه أحد غيره من بعده ، وبقيت مسوّداته بعد موته في يد بعض الناس الساكنين بلدة مسلمات ، ثم تمزقت وذهبت ولم يبق لها أثر .[٤]

ومات هذا الشاعر بالوباء الذي عمّ عُمان وتوفي سنة ١٢٣٦هـ ، و كان قد رثى سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بقصيدة مطلعها(من الكامل):

---

(١) ينظر الصحيفة القحطانية ج٥/ ٣١٢- ٣١٧
(٢) نسبة إلى بلدته مُسِلْمات من أعمال وادي المعاول
(٣) أفي هي من أعمال وادي المعاول وهي بالقرب من مسلمات
(٤) ينظر ابن رزيق ،الصحيفة القحطانية ، ج٥/ ٦٨- ٧٢

لا تبتئس من شامِتٍ ومفنّدِ ∴ أبَداً ولا تسمعْ مقالةَ حُسّدِ[١]

ومن شعره الذي أورده له ابن رزيق في الصحيفة قوله(من الخفيف):

قَوَّضَ الصّبُّ يومَ جدّ الفريقُ ∴ مُستمدّاً لو بان عني الرفيقُ
يمَّموا أدلَجوا استعَدّوا وشَدّوا ∴ وتداعَوا بهم حُداةٌ تسوقُ
فلَعمري أنا المتيّمُ والصبُّ ∴ ب المُعَنّى حُمِّلْتُ ما لا أطيقُ
كُرُباتٌ لا تنجلي وهُمومٌ ∴ غائلاتٌ ومدمع مُهْريقُ
وشجى لو تحمّلته الرواسي ∴ ما بقي من ذُرى عُلاهنّ نيقُ
أَمُحِثَّ النياقِ بالصبِّ رِفْقاً ∴ فله في النياقِ قلبٌ عَليقُ
لم يزل يتبعُ الهوادجَ كيما ∴ يهتدي إن ضلّتْ عليه الطريقُ[٢]

وقد رثاه ابن رزيق بقصيدة مطلعها(من البسيط):

أودى محلَّ العويصِ الحاذقِ الفطِن ∴ علاّمةِ الشعراءِ المِصْقَعِ اللَّسِنِ
فاذرِفْ دموعَك يا شادي القريضِ دَماً ∴ ومزِّقِ القلبَ بالتبريحِ والحزنِ[٣]

ومن شعراء هذا العصر: ناصر بن سليمان بن ثاني بن عرابة ، وهو ابن عمّ الشاعر هلال بن سعيد بن ثاني بن عرابة – المذكور سابقا- ، لم أجد له ترجمة وذكراً فيما توفر لدي من مصادر ، ولكني وجدت له شعراً في ديوان ابن عمّه هلال المذكور آنفاً، ولجودة هذا الشعر ورقّتِه رأيت لا بدّ من ذكره مع شعراء الفئة الرابعة، وهو معاصر لابن عمّه هلال ؛ لأن بينهما مخاطبات شعرية. وله قصيدة مَدَحَ بها السلطان سعيد بن سلطان ، رقيقة في معانيها ،أولها قوله(من الطويل):

ألا فانشدوا ذكر النجيد وحدّثوا ∴ لأن غرامي فيه أهلوه أحدثوا
ولا تذكروا نجداً ورملةَ عالجٍ ∴ فذكراهما عندي من البين أخبثُ
فنفسي بمسْيالِ النجيد قتيلةٌ ∴ وتحيا بأسباب الدجى تتشبثُ[١]

(١) ينظر ابن رزيق ، الفتح المبين ص٤٤١
(٢) ابن رزيق ، الصحيفة ج٥/ ٧٠
(٣) المصدر نفسه. ج٥/ ٧١

وسمع الشاعر هلال بن سعيد حمامة تغني على فنن فقال(من الطويل):

لحـــا الله كافـــاً ردّدتْـــه حمامـــةٌ ∴ تقلقـــل قلـــبي مِ الجـــوى حيـــثُ حنَّـــتِ
إذا هـــي ناحـــت طربـــةً وترنّمـــتْ ∴ تُجاوبهـــا عنـــد الترنُّـــمِ أنَّـــتي
فقلـــتُ لهـــا كُفِّـــي عـــن النـــوح إنـــني ∴ كبـــوتُ ، فصـــاحتْ بالبُكـــا واســـتهلّتِ[٢]

فجاوبه ابن عمِّه ناصر بن سليمان بقوله:

لحـــا اللهُ وَرْقـــا هيّجـــتني بشـــجوها ∴ وفضَّـــتْ ختـــامَ الصـــبرِ مُـــذْ يـــومِ غنّـــتِ
علـــى فـــنن البانـــاتِ مـــن أيمـــنِ الحمـــى ∴ فقلـــتُ لهـــا كُفّـــي فرفقـــاً بمهجتـــي
لعـــلّ أصـــيحابي يرقّـــوا ويســـمحوا ∴ علـــى كلَفـــي بعـــد الفـــراقِ برجعـــةِ

وعند ما باع هلال جاريته المعروفة بسلوة، حزن عليها، وقال فيها قصيدة عذبة ، فردّ عليه ابن عمّه ناصر بقصيدة رقيقة مثلها مطلعها(من الطويل):

ألا كـــلُّ ليـــلٍ زارَ فيـــه خليـــلُ ∴ قصـــيرٌ وإن بـــان الخلـــيطُ طويـــلُ
وكُـــلُّ دمـــوعٍ في الهـــوى جـــفَّ غرْبُهـــا ∴ فحتمـــاً علـــى إثـــرِ الفـــراق تســـيلُ

ومنها يقول :

وأحلـى الهـوى مـا لـيس يُـدْركُ وصْـلُه ∴ وخـــيرُ حبيـــبٍ بـــالوعود مطـــولُ
أيـــا لائـــم العشـــاقِ ذق مَطْعـــمَ الهـــوى ∴ فإنّـــكَ داءٌ بـــالفؤادِ دخيـــلُ
تُعنِّـــفُ أرْبـــابَ الهـــوى مُـــتْ بحسْـــرةٍ ∴ فـــذو العشـــقِ عمّـــا فيـــه لـــيس يحـــولُ
هنيئـــاً لمـــن زار الحبيـــبُ فراشَـــه ∴ بليلـــةِ ســـعدٍ والرقيـــبُ غفـــولُ
وبـــاتَ يُســـقِّيه مـــن الثَّغْـــرِ قَرْقَفـــاً ∴ وقَصْـــرُ حـــديثٍ بالعتـــابِ يطـــولُ[٣]

وقد مدح محمد بن سالم بن سلطان بقصيدة عارض فيها ابن عمّه هلال في مدح هذا السيد ، وهذان الشاعران عارضا البوصيري في تينك القصيدتين ، مطلع قصيدة هلال قوله(من البسيط):

يـا حـاديَ العـيس قـفْ بـالجزعِ والعَلَـمِ ∴ واســكبْ هنـــاك دمـــوعَ العـــينِ كالـــديَمِ

---

(١) ديوان ابن عرابة ص١١٠
(٢) نفسه ص١٠٢
(٣) ديوان ابن عرابة ص٢٣٢- ٢٣٣

ومطلع قصيدة ناصر قوله:

ما بالُ قلبكَ لا ينفكُّ من سَقَمٍ ∴ والعين منك تسحُّ الدمع كالديَمِ
أمِنْ تذكُّرِ جيران بكاظمةٍ ∴ نأوا فذبْتَ أسى من بَعْدِ بينِهِمِ
أم بارقٌ لاحَ نجدياً بساريةٍ ∴ يجتاحُ في عَرْضِها كالصارمِ الخَذِمِ

ومنها قوله:

طوراً نُحاسي كؤوسَ الرَّاحِ مُتْرَعةً ∴ وتارةً نُنْشِدُ الأشعارَ بالنغَمِ
والقالي في جَرَبٍ إذ نحنُ في طرَبٍ ∴ لازالَ في نِقَمٍ إذ نحْنُ في نِعَمِ
بِثْنا جميعاً بثوبيْ عِفّةٍ وتقى ∴ والكلُّ مابين مُلْتفٍّ ومُلتزِمِ
فالعينُ في ترَفٍ إذ نحن في شَغَفٍ ∴ والرُّوحُ في تَلَفٍ مِنْ عُظْمِ وَجْدِهِمِ[1]

نلاحظ هذا الترصيع في البيتين الثاني والرابع، وهذه التقاسيم المنتظمة التي أضفت إيقاعا نغميا تطرب لسماعه الأذن وتلتذُّ له الأفهام ، كما نلاحظ الاحتراز الذي جمّل الحبيبين في ملتقاهم وهو ثوبا العفة والتقى ؛ فالحبيبة ملتفة في أثوابها أثناء جلستها أمامه وهو ملتزم بالأدب والأخلاق الراقية مكتفيا بترف عينه في النظر إلى محبوبته مع شغف قلبه وتلف روحه مما يعانيه من وجد تجاهها.

ومن شعراء هذه الحقبة أبو محمد ناصر بن محمد بن سليمان الخروصي السمائلي الحاجري[2]، له يد في النظم والنثر ،"وكان في أيام حياته أكثر همته المذاكرة في الشعر والفحص في معانيه وبيانه"[3] ، وهو" فريد عصره وأوانه في علم الأدب وفصاحة الشعر ،وقد استعمل في غائب زمانه الصمت، ورفض هدر الكلام ، وإذا نطق أتى بحكمة يجلّها جهابذة العلماء الأعلام ، وإذا سامره أديب حاذق انبعث إليه منه نثر رائق ونظم فائق ، واقتنص منه حِكَماً واصِلِيّة ،

(١) نفسه ص٢٤٧
(٢) نسبة إلى الحاجر وهي قرية في قلب سمائل تقابل قرية الغبرة من جهة اليسرى للقادم من المدره ومن جهة اليمنى للقادم من مسقط، يفصلهما مجرى وادي سمائل
(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ،ص١٩٦

وبراعاتِ بلاغاتٍ غزالية ، فهو يذود الكرى عن أعين السمار، بفواكه النظم والأشعار".[١]

لكن نظمه للشعر غير متواصل فهو مجيد مقل كما وصفه معاصره ابن رزيق، لم يجمع لشعره ديوان ، ولما نظم أبو الأحول نونيته في حمد بن سعيد ، سأل بعض الأدباء الشيخ أبا محمد أن ينظم مثلها وزنا، ومعنى في السيد حمد، فاستجاب له ونظم قصيدة مطلعها (من الكامل):

إن الهنا وفاك يا هذا الزمن ∴ أنعم به ما الليل فيك لنا سكنْ
والْبسْ برودَ الفخرِ حتى يوم ما ∴ بالفوز يقضى بين أهلك والغبنْ[٢]

ولما وقف ابن رزيق على قصيدة الدرمكي و الخروصي نظم قصيدتين على منوالهما ؛ الأولى في مدح محمد بن سالم بن سلطان أولها (من الكامل):

لسُكينةٍ في قلْب عاشقها سكنْ ∴ ومحبها من فرْطِ حبٍّ ما سكنْ
رُوْدٌ يحب الصبُّ صابَ صدودها ∴ ويرى له الودَّ الذي يُوْدِي حسَنْ[٣]

والقصيدة الثانية مدح بها ثويني بن سعيد ومطلعها(من الكامل) :

بين العتيكِ وسوقها ظبيٌ أَغَنْ ∴ لا يشتري إلا القلوبَ بلا ثمَنْ
فهو الذي سفَرَ النهارُ بوجْهه ∴ والليل لّما جنَّ من فوْدَيْهِ جَنْ[٤]

قال ابن رزيق :"ولما صنع أبو الأحول قصيدته في حمد تصدى لمناضلته ومناظرته عدة شعراء وُسِموا بمِيسم الأدب ، فحرنت بهم سلاهبتهم في أول الميدان ورأوا في آخره العِيّ لكل طيار العنان ، ولما أجرى الشيخ ناصر طرفه في ذلك المضمار ، قالوا : له قصب السبق، وقصيدته هي مشعر الأشعار"[٥]. ودلل ابن رزيق على حسن سمت الشيخ ناصر واحتشامه وعلوّ أخلاقه مع العلماء بقول الشيخ ناصر نفسه (من الكامل):

---

(١) ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٥/ ٤٨
(٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ص١٩٩-٢٠١ ، والصحيفة ج٥/ ٥٠
(٣) الفتح المبين ص٢٠٢
(٤) المصدر السابق
(٥) الصحيفة القحطانية ج٥/ ٤٩

أنـــا بلبـــل الشـــعراء إلا قائـــل ∴ مـــا بـــين بـــابي عـــين ســـعنة والـــيمنْ
فلْـــيعلمِ المتشـــاعرون بـــأنهم ∴ مـــن وَبْلـــهِ وشَـــلٌ هُـــمُ لمـــا هَتَـــنْ

فاستعمل "لا" النفي عن أن يثبت لنفسه الشاعرية ؛ وبذلك يكـون قـد تـلا للشيخ الدرمكي آيات ثناء مبينات[1] .

من شعراء هذه الحقبة الشاعر ناصر بن سالم بن سعيدالحضرمي، لم أجـد له ترجمة فيما توفر لدي من مصادر، وقد مدح محسن بن زهران العبري وهـو معاصر لابن رزيق.يقول:(لما أن هداني نور التوفيق وأرشدني إلى ديوان الشاعر المنطيق حميد بن محمد بن رزيق وقرأت في أشعاره الفائقـة وألفاظـه الرائقـة ..... شجّعتُ نفسي وأجريت في ميدان الفراسة عنسي .....أمليت ما حضرني من النثر المتجانس الألفاظ والنظم المؤتلق الإيماض وسمّيتُه الدر المـنظم فـي مدح الأمير الشّمّري المعظم الشيخ الكريم ذي النجر الضميم والشـرف الجسـيم محسن بن زهران بن محمد بن إبراهيم)[2] . وجدت له قصيدتين مدح في كل واحدة منهما شعر ابن رزيق ومحسن بن زهران.وسوف أورد واحدة بأكملها وإن كانت ناقصة؛ وذلك لحسن ديباجتها وجودة ألفاظها وتراكيبها وما بها من صور فنيـه. يقول: (من البحر الطويل)

سـبى مُهْجـتي مـن ذا الشُّـويدِنِ نـاظرُه ∴ ورونـــقُ مـــاء الوجـــه منـــه ونـــاظرُهْ
ومـــا هـــو إلا شـــادِنٌ ذو محاســـن ∴ يمـــوتُ بهـــا مـــن شِـــدة الوجـــدِ نـــاظِرُهْ
أغَـــنُّ غَضـــيضُ الطـــرف للأُسْـــد فاتـــكٌ ∴ ويســـحرُ سِـــحْرَ البـــابليين فـــاتِرُهْ
كـــأنَّ سِـــهامَ الرمْـــي مـــن لحظاتِـــهِ ∴ يَغِيـــلُ بهـــا ليـــثَ الشَّـــرى ويغـــادرُه
كـــأنّ سُـــموطَ الـــدُّرِّ أضـــراسُ ثغـــرِهِ ∴ نعَـــمْ وســـنى بـــرقِ الغمامـــة كاشِـــرُهْ
كـــأنّ سُـــلافَ الخَمْـــرِ طعـــمُ رُضـــابِهِ ∴ يُعَـــلُّ بمـــاءٍ صـــيِّبُ الـــودْقِ مـــاطِرُهْ

---

(١) المصدر نفسه ج٥/ ٤٩

(٢) مجموعة أشعار يضم بين دفتيه ديوان جوهرة الأشعار وفريد الأفكار لحميد بن محمـد بـن رزيق ، وديوان تحفة الزمان لمحمد بن جمعة بن مسعود العبيداني ، وديوان نـور الأعيـان وضوء الأذهان لحميد بن محمد بن رزيق ، وكل هذه الدواوين في مدح محسن بن زهران . مخطوط مكتبة خاصة . وصورة منه لدى الباحث ص٩،١٠

كـــأنّ شـــقيقَ الـــوردِ مـــن وجَناتِـــهِ ∴ إذا بَلَّـــهُ مِـــنْ وابِـــلِ الوَكْـــفِ بـــاكِرُهْ
كـــأنّ الضـــحى وقْـــتَ الظـــلامِ جبينُـــهُ ∴ وليـــلَ الـــدُّجى وَقْـــتَ الصـــباحِ غـــدائرُهْ
كـــأنّ قضـــيبَ الخَيـــزُرانِ قَوامُـــهُ ∴ ودِعْـــصَ النَّقـــا مـــا تَحْتويـــهِ مـــآزِرُهْ
كـــأنّ قـــوافي نظْـــمِ اِبْـــنِ محمـــدٍ ∴ قلائـــدُهُ مـــن شـــادِنٍ وجبـــائرُهْ
كـــأنّ بمـــا يفْتَـــرُّهُ مِـــنْ فرائـــدٍ ∴ ثُغَيْـــرُ حُمَيْـــدٍ دُرُّهُ وجـــواهِرُهْ
فتـــى فـــاق أرْبـــابَ الفصـــاحةِ منْطقـــاً ∴ وأوْجـــدَ مـــا تحْويـــهِ قِـــدْماً مقـــابرُهْ
هـــو البحـــر درّ البحـــر يُخجِـــلُ دُرَّه ∴ ويغـــرقُ بحـــر الـــدرِّ بـــالموجِ زاخِـــرُهْ
حـــوى درر الألفـــاظ نظْمـــاً كمـــا حـــوى ∴ دِقـــاق المعـــاني والبَراعـــةِ خـــاطِرُهْ
فلـــو عـــامَ في ديوانـــهِ الـــدهْرَ مُبْصِـــرٌ ∴ لَخانَتْـــهُ عـــن إدراك معنـــى بصـــائرُهْ
ولـــو شـــامَهُ نجْـــلُ الحســـين زمانَـــهُ ∴ لَحـــارَ لَعَمْـــري منـــه ممـــا ينـــاظرُهْ
تلـــوحُ الثُّريّـــا حـــين تبـــدو سُـــطورُه ∴ معـــانٍ وضـــوءُ الشـــمسِ إنْ لاحَ نـــائرُه
كـــأنّ بـــه مـــن بعـــض أخـــلاق محســـنٍ ∴ غرائـــبُ لفْـــظٍ والمعـــاني ضـــمائرُه
كـــأنّ أريـــجَ المسْـــكِ مـــن نشـــرِ طَيِّـــهِ ∴ يُعَطِّـــرُ للآفـــاقِ بالنشـــرِ عـــاطِرُه
يلـــوحُ البَهـــا كالحمـــدِ فيـــه مـــع الثنـــا ∴ إذا مـــا تـــلاه مُنْشِـــدُ الشـــعرِ مـــاهِرُهْ
ويـــرْتَجُّ إنْ يومـــاً بـــه ذُكِـــرَ اسمُـــه ∴ أسِـــرَّتُهُ تِيْهـــاً بـــهِ ومنـــابرُهْ
ومـــا هـــوَ إلا نَظْـــمُ دُرٍّ ولؤلـــؤٍ ∴ تلقَّفَـــهُ مـــن زاخـــرِ الفكـــرِ شـــاعِرُهْ
يُشـــيرُ علـــى أنّ ابـــنَ زهـــران محســـنٌ ∴ لـــدى الـــنظْمِ في تلـــك الصـــحائفِ نـــاثرُهْ
كـــريمُ المُحيّـــا والنَّجـــارِ ومَـــنْ لـــهُ ∴ بَســـيطُ الثنـــا بعـــدَ الإلـــهِ ووافِـــرُهْ
تَوَحَّـــدَ في الـــدنيا فعـــزَّ نظـــيرُهُ ∴ وقـــامَ مقـــامَ الجـــيش واللهُ ناصِـــرُهْ
ونـــالَ العُـــلا والمشْـــرَفيُّ بكفِّـــهِ ∴ كـــذا قبلَـــه آبـــاؤه وعشـــائرُه
ونـــارَ بـــه وجْـــهُ الزمـــان لِعِلْمـــهِ ∴ بـــهِ أنـــه حِـــزبُ الإلـــه وبـــاتِرُه
هـــو المســـتحق الحمـــدَ مـــن كـــل نـــاطقٍ ∴ فمـــا نـــاطِقٌ إلاّ مـــدى الـــدهر شـــاكرُهْ
حـــوى الفخـــرَ حتـــى مـــا لـــهُ مـــن مُفـــاخِرٍ ∴ وحتـــى يُعَـــزَّ الفخـــرُ لـــو لا مَفـــاخِرُهْ

وألْقَـتْ لـه الـدنيا زِمـامَ قضـائها ∴ فهـاهو نـاهٍ للزمـان وآمِـرُهْ[1]

فقد ابتدأ قصيدته المدحية هذه بمقدمة غزلية والغزل لائط بالقلوب تهواه النفوس لما غُرس في الرجال من حب فطري للجمال "والابتداء أول ما يقرع السمع ،فإن كان عذبا حسن السبك صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وإلا أعرض عنه ورفضه ،وإن كان الباقي في غاية الحسن."[2] فتحدث عن محاسن ذلك الشويدن، وما أحلاه من تصغير للتدليل والتحبب ،فأخذ في وصف محاسنه مستخدما التشبيه المقلوب في ثمانية أبيات متوالية ، وكأن الشاعر لا يرى في الصورة العادية وفاء لوصف تلك المحاسن فاستخدم التشبيه المقلوب ليوهمنا أن سهام الرمي وسموط الدر وسلاف الخمر وشقيق الورد والضحى وقضيب الخيزران استمدت قوة صفاتها من صفات ذلكم الشويدن ، وهي وإن كانت صورا قديمة وقوالب مستوحاة من الشعراء القدامى إلا أن شعراء عصره كانوا يستجيدون هذا النوع من الشعر الذي يوشى بأنواع البلاغة والبيان ولا شك فى أنهم يرون إخراج هذا الشعر في حلة قشيبة بمعاييرهم النقدية والشاعر ابن بيئته لا يستطيع الفكاك منها.وقد وفق الشاعر حين تخلص من النسيب إلى مدح قوافي ابن رزيق بطريقة محكمة وذلك في قوله:

كـأنّ قـوافي نظـم ابـن محمـد ∴ قلائـدُهُ مـن شـادنٍ وجبـائرُه
كـأنّ بمـا يفـترُّه مـن فرائـدٍ ∴ ثُغَيْـرُ حُميـدٍ دُرُّهُ وجـواهِرُهْ

ووفق كذلك في الانتقال من مدح شعر ابن رزيق إلى مدح محسن بن زهران انتقالا ملائما حسنا، وذلك في قوله:

تلوحُ الثريّا حين تبدو سطورُه ∴ معاني وضوء الشمس إنْ لاح نائرُه
كأنّ به من بعض أخلاق محسنٍ ∴ غرائبُ لفظٍ والمعاني ضمائرُه
يلوح البَها كالحمد فيه مع الثنا ∴ إذا ما تلاه مُنشِدُ الشعر ماهِرُه

---

(١) المصدر نفسه ص١٣،١٢

(٢) الإسفراييني ، إبراهيم بن محمد عرب شاه، الأطول في علوم البلاغة، تحقيق:الشيخ أحمد عزّو عناية و علي محمد مصطفى،دار إحياء التراث، بيروت – لبنان – ط(١)٢٠١١/ ج٢/٤١٦.

والتخلص يكون " على وجه سهل برابطة ملائمة ،وجهة جامعة مقبولة يختلس به المقصود اختلاسا رشيقا،بحيث لا يتفطن السامع للانتقال من المعنى الأول إلا وقد رسخت ألفاظ المعنى الثاني في السمع،وقرَّ معناه في القلب لشدة الالتئام بينهما،وأحسنه ما كان في بيت واحد،وما كان من الغزل إلى المدح ،وإنما كان هذا الموضع من المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها ،لأن السامع مترقب للانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون فإذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغاء ما بعده"[١] وهذا ما فعله الشاعر.

وللشاعر ناصر بن سالم الحضرمي قصيدة ثالثة -من التي عثرت عليها- في مدح محسن بن زهران، وهي صنعة من صنع صانع يظهر التكلف والتأنق في صناعتها، ولعل هذه الصنعة منشرة في هذا العصر؛لأني وجدت على نمط هذه الصنعة لأكثر من شاعر ،للشاعر المرّ بن سالم بن سعيد الحضرمي ولعله أخ لناصر بن سالم هذا ، وللشاعر حميد بن محمد بن رزيق، وللشاعر محمد بن مطر بن محمد الوائلي ،وكلها في مدح محسن بن زهران ، وسوف نورد نموذجا واحدا لهذه الصنعة .

هذه قصيدة ناصر بن سالم الحضرمي في مدح محسن بن زهران العبري.

(١) ابن معصوم.علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع،تحقيق شاكر هادي شكر،نشر مكتبة العرفان،كربلاء ،العراق.ط(١)١٩٦٩م.ج٣/٢٤٠

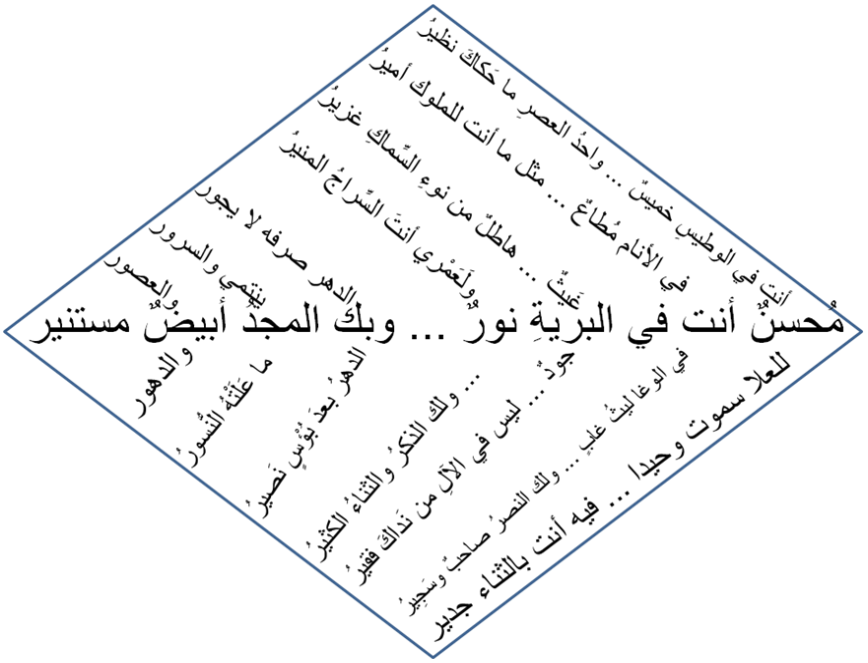

من خلال استعراضنا لشعراء العصر تبين لنا أن منهم الشاعر والناثر؛ فابن رزيق مؤرخ وكاتب مقامات وشاعر ، والغشري شاعر وناثر وقد أوردنا مقطوعة من مقامته السونية، وهؤلاء الشعراء طرقوا في شعرهم عدة موضوعات ؛ منها مشتركة شائعة بينهم وهي المدائح والمراثي والمواعظ والغزل ، وقد خرج شعراء الفئة الثالثة وهم الشعراء العلماء ذوو الصلاح والإصلاح عن تلك الموضوعات فأكثر شعرهم في الوعظ والسلوك الديني .ونظرا لتأثر شعراء الحقبة بالثقافة الدينية والعربية وكونهم تأدبوا على مائدة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فإنهم أخذوا يمتاحون من التراث العربي ، كما أخذوا يؤصلون الاتجاهات الفنية العميقة فعارضوا من سبقهم من الشعراء الكبار ،في العصور الأدبية المختلفة، فابن رزيق عارض معلقة طرفة بن العبد وزنا وقافية مع اختلاف الغرض فيقول (من الكامل):

برقٌ تألّق لا ببرقة ثهمد ∴ سحراً فحرّمني لذيذَ المرقدِ[1]

(١) ديوانه .ص٩٧

وعارض أيضا الشريف الرضي في كافيته .يقول ابن رزيق(من الكامل) :

مـــن ذا بفتـــك حُشاشـــتي أفتـــاكِ ∴ فأطعْتِـــــهِ ياظبيـــــة الأتـــــراك[1]

كما عارض ابن رزيق صفي الدين الحِلّي في ديوانه(درر النحور)في مدح الملك المنصور بديوانين كاملين هما:جوهرة التيجان وفصوص المرجـان، ولـه معارضات كثيرة لشعراء عصره وغيرهم ،وعارض ابن عرابة والنبهاني التنوفي ميمية البوصيري .

ولنا رصد مستقصٍ للمعارضات عند شعراء العصر من الذين تأثروا بغيـر الشعراء العمانيين ودراسةً فيها.[2] وهناك مجموعة من شعراء العصر عارضـوا نونية سالم بن محمد الدرمكي التي مدح بها حمد بن سـعيد التـي مطلعهـا(من الكامل):

مـا بـين بـابي عـين سـعنة والـيمن ∴ سـوق تبـاع بهـا القلـوب بـلا ثمـن

وهذه المعارضات جعلت شعراء العصر ينعمون النظر في الشـعر فنشـأت إرهاصات للنقد التطبيقي نُجوِّزُ لأنفسنا تسميتها بالحركة النقدية ،فأمسـى لزامـا علينا أن نتحدث عنها.

(١) ديوان ابن رزيق .ص٥٧

(٢) ينظر الحسيني.راشد بن حمد ، البنى الأسلوبيةفي النص الشعري.دراسة تطبيقية، دار الحكمة – لندن–ط(١)٢٠٠٤م،ص٣٥٢-٣٧١

الحركة النقدية عند شعراء العصر

لقد حافظ شعراء هذه الحقبة على النهج التقليدي وكانوا من المحتذين للسابقين من الشعراء في العصور الأدبية السابقة وربما تفاوت هؤلاء الشعراء في مكانتهم الأدبية وما يتصفون به من قدرة شعرية في ميدان التكوين الفني ، ولكنهم يصدرون جميعا عن روح تقليدية ظاهرة قوامها الجمع بين تقاليد العصور الأدبية المزدهرة والعصور الأدبية الضعيفة ،وهم في هذه الفترة الزمنية في عمان يقابلون العصور الأدبية الضعيفة في بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية ؛ فهم يستوحون تقاليد الشعر العربي في عصور ضعف الدولة العربية من حيث القوالب الشعرية المستحدثة والألاعيب اللفظية المتكلفة كما قرأنا ذلك في نصوص سابقة.

ويتسم هؤلاء الشعراء بما يتسم به شعراء كل جيل من بروز الموهبة المبدعة عند بعضهم،واختفائها ،أو ضعفها عند بعضهم الآخر.

أما النقد التطبيقي الذي اطلعنا عليه فيلقي الكثير من الضوء على مفهوم معايير النقد القديم ومقاييسه السابقة ؛ كالحكم الجزئي وسمت الشاعر في الإيلاج إلى المعاني والاهتمام بالقيم اللغوية وصحة المعنى واستقامته ، وسلامة مطالع القصائد من العيوب المعنوية، فهو امتداد للنقد التقليدي .

كان بعض الشعراء في حقبة الدراسة لهم بصْرٌ بالشعر وعين ثاقبة يدركون بها أسرار الأساليب وبلاغتها من مثل الشيخ جاعد بن خميس الخروصي وابن رزيق وناصر ابن محمد الخروصي ، وحين تناقلت الألسن نونية أبي الأحول(من الكامل):

مابين بابيْ عينِ سَعْنةَ واليَمَنْ[1] ∴ سوقٌ تُباعُ بها القلوبُ بلا ثَمَنْ

عاب عليه بعض أهل اليمن قوله:

العودُ من أبدانهم والمِسْكُ مِنْ ∴ أرْدانِهِمْ والزعفرانُ مِنَ الوُجَنْ

(١) اليمن ؛ حارة من حوائر بلدة ازكي .وولاية ازكي من توابع المنطقة الداخلية ، وهي قبل مدينة نزوى للقادم من مسقط بحوالي ٢٥كم

قالوا : إن تشبيهه للوجنة بالزعفران غير ملائم عند أهل المعاني والبيان ، فإن الزعفران لونه أصفر لا أحمر ، وصفرة الوجنة وسائر الوجه لا يكون إلا من علة محتاجة إلى علاج ، ولكنه لو قال: والجُلّنار من الوجن ، لحسُن به تشبيهه وكاد أن يتعذر شبيهه . فرُد عليه بأن هذا الناظم لا يريد اللون بذا التشبيه وإنما أراد به الشذا ، وقد رجح ابن رزيق لهم هذا الرأي وقال: " هذا هو الصواب الذي لا يستراب"[١] ، ثم قال: ومما يدل على أن لفظة الزعفران يراد بها الشذا من وجنة المتغزل بها قول الشاعر:

العود من أبدانهم والمسك من ∴ أردانهم والزعفران من الوُجَنْ
وشذا القرنفُلِ هاج من أنفاسهم ∴ سَحَراً وماء الورد من عرَق البدن

"ولو كان يريد بالأبدان والأردان والوجن اللون لقبح معنى بيته ، إذ العود والمسك أسودان ووصف الوجن لونا بالزعفران قبيح عند من لهم فهْمٌ صحيح وحلم رجيح ."[٢] وأشار ابن رزيق إلى أبي نبهان في تعليقه على هذين البيتين بهذا المعنى نفسه واستحسانه لهما .

ونظم ابن رزيق قصيدة يعزي فيها رجلا " ركب ولده اليَمَّ في سفينة بأموال جزيلة ، فنُهِبَتْ السفينة وما فيها ، وأخذوا معهم أصحابها ، ثم فسحوا لهم ، ورجعوا إلى أهلهم سالمي الأحوال منهوبي الأموال ، ورجع الولد كذلك إلى أبيه ، فقال ابن رزيق في مطلع قصيدته (من البسيط) :

سلامةُ الحالِ خيرٌ مِنْ فنى المالِ ∴ ففرِّقِ الهمَّ من كُثْرٍ وإقلالِ

وأوردها على ثلاث حالات : الحالة الأولى: خير من فنى المال. والثانية:من بقى المال. والثالثة:بفنا المال. بخفض الباء وإشباع خفضه.. قال أحد معاصريه : أما قوله : خير من بقى المال . فقد فهمناه . وأما قوله:خير من فنى المال فإنه لم يتضح تأويله . إذ فناء المال ليس هو بشيء حسن، حتى تكون سلامة النفس خير منه. وإنما يصح له أن لو صح النظم أن يقول : سلامة الحال خير من سلامة

(١) ينظر الفتح المبين ص١٩٧
(٢) نفسه ص١٩٧

المال ، ولكن يختل عليه النظم . وقوله : سلامة الحال خير من بقى المال يقرب من معنى ذلك ، وكذلك معاني الوجوه الأخرى ، وهي مفهومة ، وهل هذا البيت فيه كثرة معاني ، وهل هو دالٌّ على القضية حتى يصلح لأَنْ يكون بلاغة مطلع في ذلك " [١]

فتصدر للرد على هذا الناقد الشيخ أبو نبهان ، أبان فيه عن علم ثاقب وبصرٍ ناقد ، وبلاغة علم وبراعة فكر، وأن هذا المطلع لاتصل إلى فهمه عقول العوام فـ"ليس كل حكمة من الكلام يُفهم معناها على البديهة ، أو يحيط بجميع ما تضمنته من المعاني عقول أكثر العوام، فإنما ينطبع فحول العلماء في ذلك ، ولا بد من معرفة قانون الحكمة في تركيب الكلام لنظم المعاني المقصودة "[٢]، وبعد هذه المقدمة ردّ عليه رداً تفصيليا بدأ فيه بكلمة (خير) وإمكانية إتيانها على معان متعددة فقد "تكون فاصلة بين شيئين أحدهما الأخْيَرُ فيه ، وقد تكون تفصيلية ؛ فتستعمل في شيئين فاضلين أحدهما أفضل من الآخر، وقد تكون وصفية فيتم بها الكلام ، وقد تكون اسمية وصفية فيها دلالة على صفة المسمى بها ، ويتوجه هذا النظم إلى جميع وجوهها المذكورة " ، ثم فصّل القول في هذا الشطر الثاني على وجوهه الثلاثة التي أوردها الشاعر عليه .

فالوجه الأول : وهو قوله: خير من فنى المال. فإن لحرف(مِنْ) هذه واحدا وعشرين معنى وهذا القول يشتمل على معان كثيرة وفيه تقدير محذوف ويصح تأويله على وجوه شتى ، وإذا صحّ له معان متوافقة متشاكلة مفيدة بفوائد عليّة كانت من معجزات النظم ، وكانت حكمة باهرة .

والوجه الثاني : وهو قوله بفنى المال ، فقد يكون (الباء) بمعنى مع، وقد يكون بمعنى (مِنْ) فيكون القول فيه بالمعنى الذي اشتبه على الناقد فهمه ومعناه .

والوجه الثالث: خير من بقى المال؛ معناه أن يبقى سلامة الحال خير من بقاء سلامة المال، إن كان لا بد من إتلاف أحدهما . ووجه ثانٍ أن السلامة

(١) ابن رزيق ، الصحيفة ج٤/ ٢٠٥
(٢) ابن رزيق الصحيفة ج٤/ ٢٠٤

والبقاء والفناء يطلق على معان شتى ، وبعض منها نقيض بعض، فالسلامة للنفس قد تكون دينية ، وقد تكون دنيوية صالحة ، وقد تكون دنيوية طالحة .

ويورد أبو نبهان شروطا لبراعة المطلع ، وكماله وجماله.من هذه الشروط:

١- أن يكون المطلع قائما بذاته . ٢- أن يكون تامّ المعنى .

٣- أن تكون معاني المصراع الثاني مساوية لمعاني المصراع الأول ومشاكلة له ، وتتمة لمعانيه ، وقائما بذاته .

٤- أن يكون غير مترخص فيه بالرخص الوهنة مع أهل الفصاحة[١] .

وإذا عدنا إلى نقادنا القدامى نراهم يوردون شروطا لصحة المطلع وجماله قريبة من هذه الشروط ومطابقة لها إلى حدٍّ كبير .

فابن رشيق مثلاً يقول:(ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول إذا ابتدأ) [٢]، فأبو نبهان الآن في شرطه الثالث يتفق مع ابن رشيق تمام الاتفاق من حيث أن معاني المصراع الثاني تتمة لمعاني المصراع الأول .

أما حازم القرطاجني فيقول: (إن تحسين البيت التالي للبيت الأول من القصيدة لَيتناصَر بذلك حسن المبدأ)[٣]، ويقول في موضع آخر: (وأن يكون البيت الثاني تتمة للبيت الأول) [٤]. إن حازما تحدث عن البيت الثاني ومدى أهميته في تتمة معنى البيت الأول بينما ابن رشيق وتبعه أبو نبهان تحدثا عن المصراع الثاني وأهميته في تتمة المصراع الأول .

ويورد الدكتور يوسف بكار خمسة شروط للمطلع حددها النقاد القدامى وهي:

١-أن يكون المطلع فخما له روعة وعليه أُبّهة .

٢- أن يكون بعيداً عن التعقيد ؛ لأنه أول العِيّ ، ودليل الفَهة .

---

(١) ينظر ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ج٤/ ٢٠٤-٢١٨ وينظر الفتح المبين ص١٧١-١٧٢

(٢) ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه .تحقيق محمد قرقزان،ط١ ١٩٨٨ ، دار المعرفة بيروت ٣٩٣/١

(٣) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ،ط٣ ،١٩٨٦ ص٣٠٧

(٤) المصدر نفسه ص٣٠٨

٣- أن يكون نادراً انفرد الشاعر باختراعه .

٤- أن يكون خاليا من المآخذ اللغوية . ٥- أن لا يكون بارداً .[١]

نلاحظ أن الشرط الرابع الذي أورده .د.بكار، وهو كون المطلع خاليا من المآخذ اللغوية يتفق مع ما جاء به أبو نبهان في شرطه الرابع والأخير ، وهو كونه غير مترخص فيه بالرخص الوهنة مع أهل الفصاحة، والرخص الوهنة ؛ هي المأخذ باللغات والآراء الضعيفة التي يترخص فيها.

من هنا ندرك أن النقد الأدبي عند أبي نبهان ناضج تامٌّ مستْوٍ على ساقه يتبع فيه مقاييس النقد وأصوله عند القدامى . وبهذه المقارنة نخالف أحد الباحثين الذي يقول : (إنه بداية فطرية تقوم على تذوق النص الأدبي والتأثر ببلاغته ، إلا أنها حركة غير محددة بمنهج ، ولا تتبع مقاييس النقد وأصوله) .[٢] فإذا كانت آراء النقاد القدامى في المطلع تلك التي عرضناها ،ورأينا اتفاقها مع ذوق أبي نبهان ، فليت شعري ما المقاييس النقدية وأصولها التي يقصدها ذلك الباحث ؟ أليس هو الاهتمام بالمعاني وصحتها ؟ كالتي عرضناها ، والاهتمام بمطالع القصائد ؟ كالذي تحدث عنه أبو نبهان وقارنّاه مع ابن رشيق والقرطاجني ؟ .

(١) بكار . د: يوسف حسين . بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث . ط ٢ ،١٩٨٣ . دار الأندلس . بيروت ص٢٠٧-٢١٠

(٢) د.علي عبد الخالق . الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية . دار المعارف بمصر ١٩٨٤ .ص٤٢

الخاتمة

استعرض هذا البحث شعر الدولة البوسعيدية في بواكيرها وخرج بنتائج متعددة من أهمها:

١- قرّب الحكام البوسعيديون الأدباء والشعراء إلى بلاطهم ومجالسهم، وشجعوهم بالعطايا والهبات ذلك؛لأنهم كانوا يتذوقون الشعر فضلا عن نظم بعضهم له.

٢- نشأ عن ذلك التشجيع وجود شعراء احتضن البلاط الحاكم والأمراء بعضهم فجرّدوا شعرهم لمدائح الحكام والسلاطين والأمراء في حياة أولئك السلاطين، وبعد مماتهم كان الشعراء يوفون بالذمام فرثوهم بمراثي متعددة.

٣- وُجِد من أولئك الشعراء من جمع بين كتابة التاريخ والمقامات كحميد بن محمد بن رزيق ،ووجد من كان يكتب المقامة بجانب الشعر مثل محمد بن سعيد الغشري.

٤- اتجه أولئك الشعراء إلى معارضة الشعراء القدامى مثل طرفة بن العبد والمتنبي والشريف الرضي وصالح بن عبد القدوس وصفي الدين الحلي وغيرهم فكانوا يستقون من معينهم ويقلدونهم في تراكيبهم وصورهم.

٥- أخذ أولئك الشعراء في معارضة بعضهم البعض ،فقد عارض مجموعة من شعراء العصر الشاعر محمد بن سالم الدرمكي في قصيدته النونية التي مدح بها حمد بن سعيد .

٦- كانت تلك الحقبة التاريخية مقابلة للعصر المملوكي والعثماني الذي وصف فيها الأدب بالضعف والانحطاط ،نتيجة اتجاه الشعراء إلى الزخرفة اللفظية وجريانهم خلف الصنعة والمحسنات البديعية ،فكان أغلب شعرائنا لم يستطيعوا الانفكاك من ربقة ذلك العصر،فقد نظم بعضهم قصائد على عدد حروف الهجاء من حرف الألف إلى حرف الياء التزم في كل قصيدة أن يكون أول حرف في البيت حرف رويٍّ في القصيدة ،وهذا ما صنعه ابن

رزيق في ديوانه جوهر الأشعار وفريد الأفكار في مدح ثويني بن سعيد ، وهذه الصنعة اقتفى فيها أثر الصفي الحلي في قلائد النحور في مدح الملك المنصور، ونظم قصيدة في مدح محسن بن زهران العبري سماها الأبجدية جعل كل بيت فيها يبدأ بأول حروف أبجد هوز، ونظم ناصر بن سالم بن سعيد الحضرمي وأخوه المر بن سالم الحضرمي وحميد بن محمد بن رزيق، ومحمد بن مطر بن محمد الوائلي كل واحد منهم قصيدة في مدح محسن بن زهران العبري يظهر فيهن التأنق والتكلف في صنعتهن.

٧- نتج من تلك المعارضات والوقوف عليها بالفحص والتنقيح حركة نقدية وهي بدايات للنقد التطبيقي .

هذا ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح .

المصادر والمراجع

١. أمبو سعيدي،عبدالله بن سعود ،ابن رزيق،حميد بن محمد ودوره في كتابة التاريخ العماني،دراسة في مصادره ومنهجه،رسالة دكتوراه،الجامعة الأردنية،أيار ٢٠٠٣م.
٢. الإسفراييني، إبراهيم بن محمد عرب شاه، الأطول في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ أحمد عزّو عناية و علي محمد مصطفى،دار إحياء التراث، بيروت – لبنان – ط(١)٢٠١١.
٣. بكار، يوسف حسين . بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث . دار الأندلس . بيروت ط ٢ ،١٩٨٣
٤. التنوفي ،علي بن ناصر بن محمد النبهاني، ديوانه ، نشر مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي. ط(١) ٢٠٠٢م
٥. حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ،ط٣ ،١٩٨٦
٦. حجازي،محمود فهمي حجازي وجماعته، دليل أعلام عمان ؛القسم الثالث من موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، ،نشر جامعة السلطان قابوس ومكتبة لبنان،المطابع العالمية ،مسقط، سلطنة عمان (ط١) ١٩٩١م.
٧. الحسيني ، راشد بن حمد ، اللواح الخروصي حياته وشعره ، مطابع النهضة ، ط ١ ،١٩٩٦
٨. الحسيني.راشد بن حمد ، البنى الأسلوبيةفي النص الشعري.دراسة تطبيقية، دار الحكمة – لندن–ط(١)٢٠٠٤م.
٩. الخصيبي ، محمد بن راشد ، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، نشروزارة التراث القومي والثقافة،سلطنة عمان، ط ٤ ،٢٠٠٦م .
١٠. الراشدي، مبارك بن عبدالله،الشيخ سعيد بن خلفان وفكره، فعاليات المنتدى الأدبي، قراءات في فكر الخليلي ،ط١ ،١٩٩٤

١١. ابن رزيق . الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين . تح عبد المنعم عامر، د: محمد مرسي . نشر وزارة التراث القومي .سلطنة عمان . طبعة ١٩٨٤ .
١٢. ابن رزيق . حميد بن محمد ،الصحيفة القحطانية،تحقيق د.محمودالسليمي وصاحبيه،نشر وزارة التراث والثقافة ــ سلطنة عمان، ط ١ ، ٢٠٠٩م.
١٣. ابن رزيق ، سلك الفريد في مدح السيد الحميد ثويني بن سعيد ،تح محمد علي الصليبي،نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،مطابع النهضة، ط ١ ،١٩٩٧م
١٤. مجموعة أشعار يضم بين دفتيه ديوان جوهرة الأشعار وفريد الأفكار لحميد بن محمد بن رزيق ، وديوان تحفة الزمان لمحمد بن جمعة بن مسعود العبيداني ، وديوان نور الأعيان وضوء الأذهان لحميد بن محمد بن رزيق . مخطوط .مكتبة خاصة .
١٥. ابن رشيق ، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه .تحقيق محمد قرقزان،ط١ ١٩٨٨ ، دار المعرفة بيروت ٣٩٣/١
١٦. السالمي حميد بن عبد الله ،تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، طبع بمطبعة الإمام بمصر . من غير تاريخ.
١٧. الشاويش،غالب بن محمد محمود، الكافي في علم العروض والقوافي،مكتبة الرشد، الرياض،السعودية،ط ٢ ،٢٠٠٢م
١٨. العبادي، عامر بن علي ، أنوار الأسرار ومنار الأفكار، نشر مكتبة السيد محمد بن أحمد، المطبعة الوطنية ،روي، ط ١٩٩٦ ،١
١٩. العبري ، ابراهيم بن سعيد ، تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين. مخطوط .مصفوف على الحاسب الآلي . مكتبة وقف الحمراء .
٢٠. ابن عرابة، هلال بن سعيد، ديوان جواهر السلوك في مدائح الملوك ، تحقيق د.داود سلوم ،نشر وزارة التراث القومي ١٩٧٩م .
٢١. علي عبد الخالق . الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية . دار المعارف بمصر ١٩٨٤ .

٢٢. الغشري، سعيد بن محمد، ديوانه ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ،نشر وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان ،عام ١٩٨١ .
٢٣. الكلباني . علي بن قاسم . شعر بن شيخان المهاد والأبعاد . رسالة ماجستير . جامعة السلطان قابوس. ١٩٩٥
٢٤. مجموع القصائد، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، بديّة، مخطوط .
٢٥. أبومسلم ناصر بن سالم البهلاني، ديوانه، تحقيق عبدالرحمن الخزندار، طبعة ١٩٨٦
٢٦. مطلوب: أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣م.
٢٧. ابن معصوم.علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع،تحقيق شاكر هادي شكر،نشر مكتبة العرفان،كربلاء ،العراق.ط(١)١٩٦٩م.
٢٨. الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم، جواهر الأدب ، مؤسسة التاريخ الأدبي ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ط(١) د.ت..